الحوار مع المرأة في قصص الأنبياء

في القرآن الكريم

دراسة بلاغية

إعداد الدكتورة

ماجدة يسري أحمد السيد

المقدمة

الحمد لله حمداً طيباً طاهراً كثيراً مباركاً فيه ملئ السموات وملئ الأرض وملئ مابينهما وملئ ماشاء ربى من شئ بعد يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ونصلى ونسلم على أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين.

فمن أجل نعم الله علينا أن جعلنا خير أمة أخرجت للناس وأرسل فينا أفضل الرسل بأعظم الكتب ذلك الكتاب المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ومن نعم الله على المرأة خاصة أن منحها حقوقا كانت مسلوبة منها بل كانت المرأه نكرة لا تعرف ولا تذكر فجاء القرآن الكريم ووهبها حقوقاً لم تكن تخطر لها ببال فى يوم من الأيام، فأعلى كرامتها ورفع شأنها، فبعد أن كانت تورث أصبحت ترث، ولها حق التملك إلى غير ذلك من الأحكام التى أعز الإسلام بها المرأة.

ومن هنا كانت انطلاقتى فى هذا البحث الذى نستعرض من خلاله لجانب من بلاغة القرآن فى عرضه لحق أصيل من حقوق المرأة وهو حق المرأة فى الحوار والكلام بحضرة الرجال بل بحضرة الملائكة،وما هذا إلا ليعلمنا كيف يكون الحوار داخل الأسرة فلم يأت القرآن بهذا القصص إلا ليعلمنا كيف تكون التربية وكيف تكون المصاحبة بالحسنى

وذلك من خلال تدبرنا للآيات التى وردت فيها حوارات المرأة

وكانت جزءا من قصص الأنبياء وهى على الحو التالى :-

١- الحوار مع زوج إبراهيم عليه السلام.

٢- الحوار مع المرأة فى قصة موسى عليه السلام

ويشمل أربعة حوارات :

أ- الحوار مع أم موسى.

ب- الحوار مع حاضنة موسى عليه السلام (امرأة فرعون رضى الله عنها

ج- الحوار مع أخت موسى.

د- الحوار مع زوج موسى عليه السلام.

٣- الحوار مع ملكة سبأ.

٤- الحوار مع مريم عليها السلام

ويشمل ثلاثة حوارات :

أ- حوار زكريا مع مريم.

ب- حوار جبريل مع مريم.

ج- حوار عيسى عليه السلام مع أمه لحظة ولادته.

أولاً : الحوار مع زوج إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) هود ٦٩-٧٣

هذه الآيات معطوفة على ما قبلها من قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم وحين نتأمل ما صدرت به هذه الآيات دون سابقيها نجدها قد صدرت باللام وقد وذلك لغرابة هذا الأمر وهو نزول الملائكة لتبشر إبراهيم عليه السلام بالولد ، كما أن حمل سارة عليها السلام في هذا السن المتقدم أمر محل إنكار بمقاييس البشر، حتى من السيدة سارة نفسها فأكد الفعل بهذه المؤكدات حتى يزول هذا الإنكار.

وآثر النظم القرآني التعبير بالفعل (جاء) دون (أتى) و(حضر).

ففي التعبير بالفعل (جاءت) نوع من المفاجأة فإبراهيم عليه السلام لم يكن يعلم أمر مجيء الملائكة فهو قد حسبهم أضيافاً في أول الأمر.
والفعل (جاء)مصحوبا بالباء وسماها كثير من النحويين باء الحال [١]

فيمكن أن نقول في معنى بالبشرى أي مبشرين.

وفي إضافة الرسل إلى ضمير الحق سبحانه وتعالى في رسلنا زيادة تعظيم شأن هؤلاء الملائكة المرسلين، كما أن فيه إشارة إلى عظم الأمر الذي أرسلوا به.

وقوله (بالبشرى) [١] البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة كقوله تعالى (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) يقال بشرتُه بمولود فأبشر أي سر.

(١) الحني الداني في حروف المعاني 5/1 لابن قاسم المرادي

فأطلقت البشارة على السرور لأنها محله أي أن أثر السرور يظهر على البشرة التي هي "أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان" [٢] ففيه مجاز مرسل علاقته المحلية حيث أراد الأمر الباعث على السرور وعبر عنه بمحله.

ونرى أن جملة (قالوا) قد جاءت دون عطف على ما قبلها وذلك بينهما من شبه كمال الاتصال ، فقد وقعت الجملة الثانية (قالوا) جواباً عن سؤال مقدر أثارته الجملة الأولى فكأن سائلاً سأل: ماذا قال هؤلاء الرسل لإبراهيم ؟ فالإخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع [٣].

وكذلك فصلت جملة (قَالَ سَلَامٌ) عما قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال فكأن سائلاً سأل ماذا كان جواب إبراهيم عليه السلام ؟ فكان الجواب (قَالَ سَلَامٌ) وفيه إيجاز بالحذف ، والمحذوف هنا هو المسند إليه ويكون التقدير أمري سلام ويمكن أن يكون المحذوف هو المسند ويكون التقدير سلام لكم أو عليكم ويكون الغرض من الحذف هنا "تكثير الفائدة " "احتمال أمرين عند الحذف" [٤]

وتعبيره عليه السلام بالجملة الإسمية برفع سلام أفاد الثبوت والدوام ، فقد رد عليهم إبراهيم عليه السلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل زيادة في الإكرام[٥].

والتعبير بالفاء في قوله (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) للتعقيب فهي تدل على أن إبراهيم عليه السلام لم يمكث سوى وقت قصير جداً في إحضار هذا الطعام وهذا خلق الكريم.

وتنكير" عجل "في قوله (بعجلٍ) بالإفراد أي فرد من أفراد ولد البقر ووصفه ب (حنيذ) فيه بيان لنوعية طهي هذا العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام لضيفه.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج 90/2 دار حناد ط الرابعة 2005
(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة
(٣) تفسير ابي السعود ج 332/3 دار الكتب العلمية – بيروت ط أولى 1999/1419م
(٤) بغية الإيضاح ١٣٢/١العبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب – ١٤١٧ –١٩٩٧، تيسير علم المعاني121د حلمي محمد القاعود ط أولى دار النشر الدولي 2006/1427
(٥) التحرير والتنوير 94/11

وكون الطعام بهذا الوصف فيه مدعاة لأي إنسان يراه أن يأكل منه، لذلك تعجب سيدنا إبراهيم عليه السلام (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً).

وقوله(فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ) كناية عن عدم الأكل من هذا الطعام ، فالطعام لم يكن بعيداً عنهم ، فليس القصد عدم استطاعتهم إيصال أيديهم إليه فهو"كناية عن عدم المد"(١)

وقيل إنه استعارة عن امتناعهم من الأكل (٢).والقول بالكناية أولى عندي.

وجاء قوله تعالى (نَكِرَهُمْ) (٣) (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) (٤) هذا الخوف نتيجة طبيعية لعدم أكلهم من الطعام لأنه معروف عند العرب أنه من لم يأكل طعامك لم يحفظ زمامك.

وتقديم الجار والمجرور (مِنْهُمْ) على (خِيفَةً) ليس للتخصيص أي أنه عليه السلام أوجس من جهتهم شيئاً هو الخيفه (لأنه أوجس الخيفه من جهتهم لامن جهة غيرهم فتأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس إليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن) (٥).

هذا كلام العلامة أبي السعود وإن كنت أرى أن التقديم للتخصيص فالخوف الذي أوجسه إبراهيم عليه السلام كان من جهتهم خاصة وإن كان هذا لا يتعارض مع الذي أورده العلامة أبي السعود من أن تأخير (خِيفَةً) جعل السامع يتشوق إلى معرفته لأنه جاء بعد تفكر فيه فحينئذ يستقر في الذهن ويثبت.

---

(١) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي ٥ /١٩٣ للقاضي شهاب الدين الخفاجي – دار الكتب العلمية –بيروت – ط أولى.

(٢) البحر المحيط ١٨٠/٦ لأبي حيان الأندلسي دار الفكر – بيروت – تحقيق صدقي محمد جميل

(٣) نكر الأمر نكيراً نكره إنكاراً : جهله – لسان العرب ج 352/14

(٤) أوجس منهم خيفة : أضمر منهم خوفاً – لسان العرب ج 15/ 158

(٥) تفسير أبي السعود ٣٣٣/٣

ويؤيد ذلك ما جاء في معرض آخر لهذه القصة في قوله تعالى (إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) [1] فقد قدم الجار والمجرور "منكم" على قوله (وَجِلُونَ) فدل هذا على أن الخوف كان منهم خاصة.

وقد جاءت جملة (قَالُوا) مفصولة عما قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال وقوله (قَالُوا لَا تَخَفْ) تطمين من الملائكة للخليل إبراهيم عليه السلام ، فهي قد أشبهت الجواب لأنه لما أوجس منهم خيفة ظهر أثرها على ملامحه ، فكان ظهور أثرها بمنزلة إني خفت منكم [2] إن كان قد صرح بهذا الخوف في مقام آخر في قوله (إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ).

وأرى أن النهي يحمل في طياته معنى النصح فالملائكة عليهم السلام أرادوا أن يهدئوا من روع سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وجاءت جملة (إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ) مفصولة عما قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال ، حيث وقعت هذه الجملة بمثابة جواب عن سؤال مقدر أثارته جملة النهي فكأن سيدنا إبراهيم عليه السلام سأل فلماذا جئتم إذن فكان الجواب.

وجاء بالفعل (أُرْسِلْنَا) مبنياً للمفعول والفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأصل الكلام أرسلنا الله لأن المقام مقام عذاب وإهلاك وهو سبحانه وتعالى رحمةً بعباده ينأى عن ذكر اسمه في هذه المقامات.

ونجد أن القرآن الكريم في التعبير عن الزوجية في حالة توثق عري الزوجية يعبر عنها بلفظ الزوج.

وفي الآية التي معنا نجد أن القرآن الكريم عبر عن زوج سيدنا إبراهيم عليه السلام وهي سارة بالمرأة حيث قال (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ) لأن هاهنا منغصات انتابت الحياة الزوجية وهي خلوها من الذرية.

---

(١) الحجر آية ٤٢.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج 295/11مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان ط أولى 2000/1420م

فلفظ زوج يطلق على المرأة إذا كانت الزوجية قائمة بينها وبين زوجها وكان التوافق والاقتران والانسجام تاماً بينهما دون اختلاف ديني أو جنسي أو نفسي ، ولهذا الاعتبار أطلق زوج سيدنا إبراهيم امرأة لأن عدم الانسجام التام كان سببه عدم الإنجاب والهدف الأصلي من الزواج هو النسل والذرية فإذا وجد مانع عند أحد الزوجين يمنعه من الإنجاب فإن الزوجية تكون غير متحققة بصورة تامة. (١)

وقوله (فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) (٢) ونجد الملائكة أولاً أمنت خوف سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجه ثم بعد ذلك أخبروهما بالبشرى لأن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح حسب القاعدة الشرعية.

والتبشير بإسحاق ومن ورائه يعقوب كناية عن طول عمرها وعمر ولدها فإنه سيطول عمرها حتى " يولد لها ابن ويعيش وتعش هي حتى يولد لابنها ابن "(٣) " وذكر الإسمية على سبيل الحكاية فهما بعد أن ولد سميا بذلك " (٤)

وتوجيه البشارة إليها مع أن الأصل في ذلك إبراهيم عليه السلام للإيذان بأن ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد (٥) أكثر من سيدنا إبراهيم لأنه قد ولد به من غيرها.

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢٩٦/١ بتصرف د.عبد العظيم المطعني – مكتبة وهبة – ط أولى.

(٢) الوراء : ولد الولد – لسان العرب 189/15 ، والمفردات في غريب القرآن الكريم للراغب الأصفهاني – دار العلم الدار الشامية – بيروت – دمشق 1412هـ وتحقيق صفوان عدنان

(٣) التحرير والتنوير 296/11

(٤) تفسير أبي السعود 333/3 بتصرف

(٥) تفسير البيضاوي 246/3 لناصر الدين الشبراوي البيضاوي – دار الفكر – بيروت ، وتفسير أبي السعود 333/3

وقوله (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى) [١] جاء مفصولاً عما قبله لما بينهما من شبه كمال الاتصال فقد وقعت هذه الجملة بمثابة جواب من سؤال مقدر فكأن سائلاً سأل فماذا قالت حينذاك ؟ فكان الجواب قالت.....

"وقيل إن في نداء الويل استعارة تبعية بتنزيل الويل منزلة من يعقل حتى ينادي "[٢].

وأرى أنه على القول بأن نداء الويل استعارة فهي ليست تبعية ، فهي استعارة مكنية حيث شبه الويل بإنسان ينادي فيحضر ثم استعير المشتبه به للمشبه ثم حذف المشبه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النداء.

والاستفهام في قوله (أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) يفيد الاستبعاد[٣]

وقيل إنه للتعجب [٤].

وأرى أنه للاستبعاد وذلك لأنه أمر يخالف ما جرت عادة الله في خلقه فهو أمر مستبعد بمقاييس البشر.

كما أن التعجب مستفاد من قبل الاستفهام حين قالت (يا ويلتى) فهذا القول أفاد التعجب.

ونراها قد " قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه الصلاة السلام لأن مباينة حالها لما ذكر أكثر إذ ربما يولد للشيوخ من الشواب أما العجاز داؤهن عقام"[٥]

ونلاحظ ذكر المسند إليه في قوله (أَنَا عَجُوزٌ) والذي يفيد التقرير والإيضاح، فهي تقر وتثبت ذلك الأمر وينبه لنفسها وهو أنها عجوز لا يتأتى منها ولادة[١]

(١) الويل : حلول الشر والويلة الفضيحة – القاموس المحيط 1382 للفيروز آبادي ، وقد يرد الويل بمعنى التعجب.
(٢) لسان العرب ج / 296/15.
(٣) الكشاف 411/2 للزمخشري – دار الكتاب العربي – 1407هـ.
(٤) التحرير والتنوير 297/11.
(٥) بغية الإيضاح ٥٩/١، تفسير أبي السعود 3 / 334.

وفي معرض آخر لهذه القصة في صورة الذاريات ترى حذف المسند إليه وذلك في قوله (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) بحذف المسند إليه ولعل السر في هذا أن هذا القول الأخير قالته في بادئ الأمر قبل أن تتمكن من الحمل لذلك لم تثبت ذلك الأمر وهو كونها عجوز عقيم لنفسها فكأن العجوز العقيم وصف لغيرها أما بعد أن تمكنت من الحمل وقاربت على الولادة لم تعبأ بإثبات ذلك الأمر.

(وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) [٢]

بينت بهذين الوصفين لنفسها أولاً ثم لزوجها ثانياً أنه محال بهذين الوصفين أن يولد لهما هذا بمقاييس البشر المعتادة والمتعارف عليها.

فجاءت هذه الجملة على سبيل التتميم [٣]

وقوله (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) جاءت هذه الجملة مفصولة عما قبلها لما بينهما من كمال الاتصال حيث وقعت هذه الجملة مؤكدة لمعنى الجملة السابقة [٤].

وقد صدرت هذه الجملة بالتوكيد إن وإسمية الجملة وهذا تأكيد منها على مدى غرابة هذا الشيء فهو أمر محال بمقاييس البشر.

وعرف المسند إليه باسم الإشارة (هذا) وهو للقريب وذلك للتعظيم فهي تستعظم هذا الشيء لأنها كم تمنته وطلبت تحققه فهو شيء قريب جداً من النفس لأنها كم تعلقت به.

---

(١) الذاريات 29.

(٢) البعل هو الذكر من الزوجين.المفردات في غريب القرآن 135.

(٣) التتميم : أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة – بغية الإيضاح ١٢٧/٢

(٤) تفسير البيضاوي 3 /246، التحرير والتنوير 11 / 298، البحر المحيط 6 / 184، الكشاف 2 / 411

ويؤكد ذلك المعنى تنكير كلمة شي وقد أفاد التنكيرهنا التعظيم أيضاً ووصف الشيء ب (عجيب) نتج عن استعظام هذا الشيء الذي طالما تمنته وانتظرت تحققه ووقوعه.

وقد جاءت جملة (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ) مفصولة عما قبلها وذلك لما بينهما من شبه الاتصال ، فقد وقعت هذه الجملة جواباً عن سؤال أثار الكلام السابق من أول قوله (أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) فكأن سائلاً سأل فماذا كان جواب الملائكة لها فكان الجواب (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) ويمكن أن يكون الفصل لاختلاف جهتي الكلام.

والاستفهام في قوله (أَتَعْجَبِينَ) للإنكار) [١] فالملائكة ينكرون تعجبها من أمر الله وهو أن وهبها الولد وهي في هذا السن المتقدم فكان حقها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من أمثال هذه الخوارق من ألطاف الله تعالى الخفية، وقيل إن المراد من الاستفهام النهي وليس الإنكار أي لاتعجبي ولم ينكروا عليها لأن عجبها ليس إنكاراً وإنما هو دهشة بما هو خارق للعادة [٢].

وأنا أميل إلى الرأي القائل بأن الاستفهام المراد منه النهي وليس الإنكار.

وقد جاءت جملة (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) مفصولة عما قبلها (أَتَعْجَبِينَ) وذلك لأنها تعليل لنهي الملائكة إياها عن التعجب فهي خبرية لفظاً إنشائية معنى فمعناها الدعاء ، وهذا الرأي مرجوح عند صاحب البحر المحيط لأن الدعاء يقتضي أنه أمر يرتجى حصوله ولم يتحصل بعد [٣].

والرأي الذي أميل إليه أنها جملة خبرية ويكون الفصل لكمال الانقطاع فجملة (أَتَعْجَبِينَ) إنشائية لفظاً ومعنى التي معناها خبرية لفظاً ومعنى ومن هنا أتى الفصل بينهما لأنه لا تعطف الخبرية على الإنشائية.

---

(١) تفسير أبي السعود 3 / 134.

(٢) إعراب القرآن وبيانه 399/4 محي الدين درويش – دار الإرشاد السورية

(٣) البحر المحيط 184/6

ووضع المظهر موضع المضمر في قوله (رَحْمَتُ اللَّهِ) وقدم ذكر اسم الجلالة في قوله (أَمَرَ اللَّهُ) فكان المقتضى أن يعبر عنه بالضمير فيقال رحمته لكن النظم القرآني عدل ذلك ووضع المظهر اسم الجلالة (الله)

موضع المضمر " لزيادة تشريفها " [١] ليتأكد لدى السامع أن الأمر الذي قضاه أولاً وأضيف إليه اسم الجلاله في قوله (أَمَرَ اللَّهُ) كان بسبب الرحمة التي أضيفت إلى اسم الجلالة في قوله رحمة الله.

وجاءت الرحمة مفردة لأن رحمة الله واحدة فهي تشمل جميع الخلق وإنما خصهم الله سبحانه وتعالى بنوع خاص من الرحمة.

وصرف الخطاب من صيغة الواحدة إلى جمع المذكر في قوله (عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) لتعميم حكمه لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وليكون جوابهم لها جواباً له أيضاً إن خطر بباله مثل ما خطر ببالها.

وقد فصلت جملة (إنه حميد مجيد) [٢]عما قبلها (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) وذلك لما بينهما من شبه كمال الاتصال وذلك لأنها بمثابة جواب عن سؤال مقدر وهو لماذا اختص الله أهل البيت بالرحمة والبركات؟ فكان الجواب إنه حميد مجيد.

(١) تفسير أبي السعود 334/3

(٢) حميد : المحمود على كل حال وهو من الأسماء الحسنى – فعيل بمعنى محمود ، ومجيد :الله تعالى هو المجيد تمجده بفعاله ومجده خلقه لعظمته – لسان العرب 216/4

ثانيا : الحوار مع المرأة في قصة موسى عليه السلام

ويتضمن أربعة حوارات مع المرأة :

الحوار مع أم موسى.

الحوارمع حاضنة موسى عليه السلام (امراة فرعون رضى الله عنها).

الحوار مع أخت موسى.

الحوار مع زوج موسى عليه السلام.

الحوار مع أم موسى

قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)القصص:٧

جاء قوله (وَأَوْحَيْنَا) [١] معطوفا على ما قبله من الآيات السابقة من قوله (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) وقوله (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) فجميعهم متفقون في أنها جمل خبرية فعلية ومن هنا حسن الوصل.

ومجيء الكلام بنون العظمة فيه تشريف لمن أوحي إليه وهي أم موسى، ولم يذكر أم موسى باسمها وإنما ذكرها بالكيفية، وذلك لأن محط اال والذي تدور حوله القصة هو موسى عليه السلام كما أنه ذكر اسم موسى حتى تعود الضمائر عليه.

كما أنه قد تقدم ذكر اسمه في أول السورة وإذا كان هناك فائدة من ذكر اسم أم موسى لذكرها القرآن.

وفصلت جملة (أَنْ أَرْضِعِيهِ) عن جملة (أَوْحَيْنَا) لأنها بيان لها فقد بينت هذه الجملة ما أوحاه الله إلى أم موسى من أمر لها سبحانه بإرضاع موسى ما أمنت عليه، والله أعلم.

وكان مقتضى السياق أن يقال (وأوحينا إلى أم موسى أن ترضعه) لكنه عدل عن ذلك وانتقل من الغيبة إلى الحضور وخاطب أم موسى وذلك حتى يكون الأمر مباشرة لأم موسى وحتى تتيقن بصدق الوعد، فمثل هذا الأمر إذا كان من غير الله فلا تتأتى له استجابة لأن فيه خطورة بالغة على وليدها، لأن العظيم حين يأمر بشيء يضمن للمأمور الظروف التي تساعده على تنفيذ هذا الأمر.

(١) الوحي : إلقاء الله في قلبها وما بعد هذا يدل على أنه وحي من الله على جهة الإعلام للضمان لها والإعلام أبين في معنى الوحي هنا تهذيب اللغة 193/5 للأزهري – دار إحياء التراث العربي بيروت 2001 – الطبعة الأولى

هذا إلى جانب ما في العدول من الغيبة إلى الخطاب من حضور للذهن وجذب للانتباه.

وإيثار النظم القرآني التعبير بإذا في قوله (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) والتي تستخدم في الشرط المقطوع بوقوعه [١]، وذلك لأنه سبحانه يعلم أنه حتما سيأتي الوقت الذي لا تستطيع إرضاعه لإخفائه في بيتها فكأن هذا الخوف أمر مقطوع بحدوثه لا محالة.

والأمر في قوله (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) فيه نصح وإرشاد لأم موسى أنها إذا أرادت أن تحمي ابنها من فرعون فعليها أن تلقيه في اليم.

وهذا الأمر لا يتصوره عقل بمقاييس البشر إذ كيف تحمي ابنها بإلقائه في اليم، ولننظر إلى الفعل(فَأَلْقِيهِ) والإلقاء معناه الطرح [٢] على أي كيفية ولا تخافي عليه فإنه بأعيننا.

والمراد باليم في هذه الآية كما قال المفسرون النهر أي نهر النيل وعبر عن النهر باليم فاليم يطلق أيضاً على النهر العظيم [٣].

ونرى النظم القرآني قد أثبت الخوف في قوله (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) ثم ينفيه بقوله (وَلَا تَخَافِي) والجواب على ذلك أن الخوف الأول المثبت هو غرقه في النيل والثاني هو خوف الذبح [٤].

وأرى أن المراد بالخوف الأول المثبت هو خوف الذبح والثاني هو خوف غرقه في النيل وذلك على عكس السابق.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة 178.
(٢) لسان العرب 226/13.
(٣) لسان العرب 323/15.
(٤) إعراب القرآن وبيانه 285/7

وبين (خِفْتِ) (وَلَا تَخَافِي) طباق السلب وهذا الطباق أبرز المعنى وقواه إذ بين لنا مدى قدرة الله سبحانه وتعالى على إزالة هذا الخوف المتيقن والمتمكن من قلب أم موسى وحوله إلى أمن على وليدها.

وقد عطف قوله (لَا تَخَافِي) على قوله (لَا تَحْزَنِي) [١] وذلك لأن الحزن مسبب عن الخوف فهو ناتج عنه فالذي أحدث الحزن هو الخوف.

ويمكن أن يكون من قبيل "الإطناب وهو قسم نادر من أقسامه وهو أن يذكر شيء فيؤتي فيه بمعان متداخلة إلا أن كل معنى مختص بخصيصة ليست للأخر.....وذلك أن الخوف غم يصيب الإنسان لأمر يتوقع نزوله في المستقبل أما الحزن فهو غم يصيبه لأمر وقع فعلاً ومضى فنهيت عنهما جميعاً " [٢].

والمعنى : لا تخافي عليه الهلاك من الإلقاء في اليم ولا تحزني على فراقه والنهي عن الخوف وعن الحزن فهي سببهما وهما توقع المكروه والتفكر في وحشة الفراق.

وقد فصلت جملة (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ) عما قبلها وهي جملة (لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) وذلك لما بينهما من كمال الانقطاع وذلك لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءاً فالأولى إنشائية لفظاً ومعنى والثاني خبرية لفظاً ومعنى.

ويمكن أن يكون الفصل لشبه كمال الاتصال وأراه الأولى لأن جملة (إنا رادوه إليك) تعليل للنهي السابق فكان سائلاً سال (لماذا لا تخاف ولا تحزن ، فكان الجواب (إنا رادوه إليك).

---

(١) الحزن : أشد الهم. الفروق اللغوية185 لأبي هلال العسكري – الخوف بتوقع الضرر. الفروق اللغوية 226 – وقيل الخوف : توقع حلول مكرمة وفوات محبوب. التعريفات 137 للجرجاني. ت إبراهيم الإبياري – دار الكتاب العربي – بيروت ط – أولى 1405

(٢) إعراب القرآن وبيانه 285/7

"وإيثار الجملة الإسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق أي إنا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة " [١].

وقد تضمنت هذه الآية خبرين وأمرين ونهيين وبشارتين

فالخبران هما : (وأوحينا) وقوله (فإذا خفت)

والأمران هما : (أرضعيه) وقوله (وألقيه)

والنهيان هما : (لا تخافي) وقوله (ولا تحزني)

والبشارتان هما : (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المسلين) [٢]

(١) تفسير أبي السعود 113/5

(٢) التحرير والتنوير 17/20

الحوار مع حاضنة موسى عليه السلام (امراة فرعون رضى الله عنها) :

قال تعالى (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) القصص٨-٩.

والفاء في قوله (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ) هي الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن محذوف ، فهنا إيجاز بالحذف وهي جملة فألقيه في اليم فالتقطه آل فرعون وفي هذا الحذف " دلالة على سرعة الامتثال " [١] فأم موسى قد بادرت وسارعت لتنفيذ أمر الله وألقت وليدها في اليم.

وفي قوله (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) استعارة تبعية في الحرف (اللام) في (لِيَكُونَ) فهي مستعملة في غير ما وضعت له لأنها موضوعة للتعليل لكن ما بعدها غير مترتب على ما قبلها لأن العلة الحقيقية من الالتقاط أن يكون قرة عين لهم.

ويمكن إجراء الاستعارة هنا إما على رأي الجمهور فنجريها في المعنى العام الذي يفسر به الحرف وعلى هذا فنقول في إجراء الاستعارة شبه مطلق ترتب عليه واقعية انتهى إليها الالتقاط بمطلق ترتب علة غائية فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات ثم استعيرت اللام الموضوعة لجزئي من جزئيات المشبه به وهو التقاط موسى ليكون قرة عين لجزئي من جزئيات المشبه وهي التقاطه ليصير عدواً وحزناً.

والخطيب يرى أن الاستعارة في مدخول الخوف.

وعلى هذا يكون إجراء الاستعارة كالآتي : شبهت العداوة والحزن بالفرح والسرور بجامع ترتب كل منهما على الالتقاط رجاء أمراً واقعاً ثم استعيرت اللام الموضوعة للعلة الحقيقية وهو كونه عدواً وحزناً إلى العلة الغائية وهو كونه قرة عين.

---

(١) تفسير أبي السعود 114/5

وتقديم الجار والمجرور (لهم) للتخصيص فهو عدو لآل فرعون فقط وعشيرته كذلك باعتبار الوصف العنواني لأن موسى كان عدواً لفرعون آخر بعد هذا أي ليكون لدولتهم وأمتهم "عدواً وحزناً فقد كانت بعثة موسى في مدة ابن فرعون هذا "[١].

ففرعون هذا لقب لكل من كان يتولى حكم مصر في هذه الفترة.

وكون موسى حزناً " مجاز عقلي لأنه سبب الحزن وليس هو حزناً " [٢] فقد جعل عليه الصلاة والسلام نفس الحزن إيذاناً بقوة سببيته لحزنهم "[٣].

فالمجاز أفاد أن الحزن واقع لهم لا محالة ومتحقق لا شك في ذلك.

وقد فصلت جملة (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) عما قبلها وذلك لما بينهما من شبه كمال الاتصال فهي بمثابة جواب عن سؤال مقدر أثارته جملة (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ) فكأن سائلاً سئل لماذا قدر الله نجاة موسى، فكان الجواب " قدر الله نجاة موسى ليكون لهم عدواً وحزناً لأنهم كانوا خاطئين مجرمين " [٤].

وقيل إن هذه الجملة " جملة اعتراضية لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به " [٥].

وتصدير الجملة "بإن" وذلك لتأكيد هذا الخبر وهو كون فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ومن ثم استحقوا ما نزل بهم من العقاب.

" وإضافة الجند إلى فرعون وهامان مع أن هامان لا جند له وذلك لأن أمر الجند لا يستقيم إلا بالملك والوزير إذ بالوزير تحصل الأموال وبالملك وقهره يتوصل

(١) التحرير والتنوير 18/20
(٢) التحرير والتنوير 18/20.
(٣) تفسير أبي السعود 114/5.
(٤) تفسير أبي السعود 114/5.
(٥) التحرير والتنوير 8/20.

إلى تحصيلها ولا يكون قوام الجند إلا بالأموال "[١] فكلاهما خبرية لفظاً ومعنى وكلاهما فعلية فعلها ماض.

ونلحظ هنا المنهج القرآني في استخدام "امرأة" دون "زوج" وهذا ما أشرنا إليه آنفاً في أول هذا البحث في الحديث عن قوله (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ).

والمنهج القرآني هنا عبر عن "زوج" فرعون بالمرأة وذلك لأن الصلة بينهما منبتة وذلك لاختلاف العقيدة فهي كانت مؤمنة وقد قال الله تعالى في شأنها(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [٢].

وفي قوله (قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) [٣] حذف المسند إليه إذ تقدير الكلام هو قرة عين وفي هذا الحذف مسارعة إلى مضمون الخبر وتعجيل بما يسر السامع.

وقوله (قُرَّتُ عَيْنٍ) كناية عن الفرح والسرور[٤] وذلك لأن العين تهدأ وتسكن برؤيته وفي إسناد القرة إلى موسى عليه السلام مجاز عقلي علاقته السببية، فهو ليس قرة العين ولكنه سببها وفي هذا التعبير تأكيد على امرأة فرعون على أنه ستحصل به قرة العين وابتدأت بنفسها في قوله (قُرَّتُ عَيْنٍ لِي) قبل فرعون (لَكَ).

أرادت بهذا القول أن تدل فرعون على مكانة موسى عندها حتى لا يصدر عنه الأمر بقتل الطفل[٥] وقد فصلت جملة لا تقتلوه عما قبلها (قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) وذلك لما بينهما من كمال الانقطاع فجملة لا تقتلوه إنشائية لفظاً لا معنى وجملة (قُرَّتُ عَيْنٍ) خبرية لفظاً ومعنى والنهي في قوله (لَا تَقْتُلُوهُ) للتوسل فهي تتوسل

(١) البحر المحيط 288/8.
(٢) سورة التحريم آية رقم (11).
(٣) في حديث الاستسقاء لو رآك لثرة عيناه : أي لصر بذلك وفرح وحقيقته أبرد الله دمعة عينه لأن دمعة العين باردة وقيل أقر الله عينك أي بلغك أمنيتك حتي ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيرة، لسان العرب 12/ 64.
(٤) التحرير والتنوير 20/20.
(٥) التحرير والتنوير 20/20.

لفرعون حتى لا يقوم بقتل موسى عليه السلام والتعبير بالجمع في قوله (لَا تَقْتُلُوهُ) مع أن المخاطب فرعون وذلك للتعظيم ليساعدها فيما تريد [١].

وجاءت جملة (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) لإزالة ما أضمر في نفس فرعون من خشية فساد ملكه على يد فتى إسرائيلي، فلا يكون هذا الطفل هو المخوف منه... لأنه سيكون ربيبهم ويرجى منه منفعتهم وأن يكون كالولد [٢].

وجاءت جملة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) وفي تقديم المسند إليه " هم " على الخبر الفعلي المنفي لتقوية الحكم وتوكيده فقد أكد مجيئه بهذا النحو على أنهم يجهلون تمام الجهل بكون موسى عدواً وحزناً لهم إذ لو كان لديهم ذرة من العلم بذلك لما تركوه دون أن يقتلوه.

ولذلك آثر التعبير بقوله (يَشْعُرُونَ) [٣] دون يعلمون إذ هذا التعبير يفيد أنه يخطر ببالهم مجرد خطر بهذا الأمر فالمراد به هنا العلم الخفي أي لا يعلمون هذا الأمر الخفي[٤]، كما أن في حذف متعلق (يَشْعُرُونَ) فيه تكثير للفائدة ولتذهب النفس في تقديره كل مذهب فقد يكون التقدير أنهم لا يشعرون أنه على يديه زوال ملكه.

وقد يكون التقدير أنهم لا يشعرون أن هذا الطفل لن يكون ابناً لهم فأهله موجودون.

---

(١) تفسير أبي السعود 15/5.

(٢) التحرير والتنوير 21/20.

(٣) شعرت بكذا : علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر. المفردات 456، قال الراغب معناه لا تدركونه بالحواس.

(٤) التحرير والتنوير 21/20.

الحوار مع أخت موسى :

(وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) القصص : 10 – 13.

والتعبير ب (أَصْبَحَ) فيه دلالة على أن أم موسى قد فوجئت بأمر في قلبها لم يكن موجوداً وهو الفراغ، فكأنها قد استيقظت وأفاقت على هذا الأمر العظيم الذي كاد أن يذهب بلبها وعقلها.

وهذا التعبير أعني (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا) " فيه كناية عن فقدان العقل وطيش اللب[1] والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش " [2].

وقيل معناه فارغاً من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحاً وسروراً بما سمعت لولا أنا طمأنا قلبها وسكنّا قلقها[3].

وأميل إلى الرأي الأول الذي يقول إن فارغاً فيه كناية عن فقدان العقل وذلك لأن عاطفة الأمومة الفطرية التي أودعها الله في قلب كل أم قوية وجياشة فقد تنسى الأم بسببها وعد الله الذي وعدها إياه وتغلب عليها هذه العاطفة التي تضعف أمامها أي أم مهما بلغت من القوة ويؤيد هذا الكلام قوله تعالى (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا).

---

(١) اعراب القرآن وبيانه 286/7.
(٢) الكشاف 395/3.
(٣) الكشاف 3/ 396.

والتعبير بقوله (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) وصف دقيق للحالة التي كانت عليها أم موسى من فراغ قلبها من كل شيء إلا من موسى عليه السلام وذكر فقد قاربت أن يظهر هذا الأمر.

ومجيء الباء التي للإلصاق والاختلاط[١] فيه دلالة على مدى ملاصقة ذكر موسى لفؤادها فقد خلا فؤادها من كل شيء إلا من ذكره فكأنها حين تبدي ذكره تبدي فؤادها معه فهما لا ينفكان.

وفي هذا بيان لمدى الخطر الذي كاد أن يحل بها وبوليدها لولا منة الله عليها بالربط على قلبها.

وفي قوله (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا) [٢] " استعارة تصريحية تبعية حيث شبه ما قذفه الله في قلبها من الصبر بربط الشيء المنفلت خشية الضياع واستعار لفظ الربط للصبر "[٣].

وهذه الاستعارة جسدت لنا الشيء المعنوي في صورة محسوسة حتى تكاد نراها بأعيننا فحين يقرأ أي إنسان هذه الآية لابد وأنه سيستحضر صورة الربط الحسي وهكذا الاستعارة " فإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها جسمت حتى رأتها العيون"[٤].

وفي مجيء الفعل (رَبَطْنَا) بنون العظمة لبيان عظيم قدرته سبحانه وتعالى حيث لا يقوم بهذا الفعل العظيم إلا هو سبحانه.

---

(١) الجني الداني 36 ت فخر الدين قضاوة،محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى ١٤١٣-١٩٩٢.

(٢) ربط : ربط الشيء بشدة وربط الله على قلبه بالصبر أي ألهمه وشده وقواه، اللسان 82/6.

(٣) صفوة التفاسير 409/2 للصابوني – دار القرآن الكريم – بيروت – ط /6 طبع في ألمانيا 1405هـ – 1985م.

(٤) أسرار البلاغة ص43 – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – مطبعة المدني الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

ونلاحظ أن النظم القرآني في الآية أتي بكلمة " فؤاد " في (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى) ثم ذكر في وسط الآية لفظ القلب في قوله (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا).

من علماء اللغة من سوّى بين القلب والفؤاد [١] ومنهم من فرّق بين القلب والفؤاد فقالوا أن القلب مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط [٢] ومنهم من قال : "الأفئدة توصف بالرقة والقلوب توصف باللين لأن الفؤاد غشاء القلب وإذا رق نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله" [٣].

وقيل قلب كل شيء خالصة ... ومنه تصل الحياة والفيض إلى الأعضاء على السوية بمقتضى العدل وله إيفاء كل حق حقه " وقيل القلب سبع طبقات الصدر وهو محل الإسلام ومحل الوسواس ثم القلب وهو محل الإيمان ثم الشغاف وهو محل محبة الخلق ثم الفؤاد وهو محل رؤية الحق ثم حبة القلب وهو محل محبة الحق ثم السويداء وهي محل العلوم الدينية ثم مهجة القلب وهي محل تجلي الصفات [٤].

ومما سبق يتضح لنا أن هناك فرق بين الفؤاد والقلب ونرجح هذا التقسيم الرائع للقلب إلى سبع طبقات وحين ننظر إلى بلاغة النظم القرآني نجده قد عبر أولاً بالفؤاد الذي هو محل رؤية الحق فقال (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) ففؤادها في هذه الحالة انتابتها من فراق وليدها وعلمها أنه وقع في يد فرعون قد أصبح فارغاً من رؤية الحق الذي وعدها الله إياه.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم 423/6 لابن سيدة دار الكتب العلمية – بيروت سنة 2000 – تحقيق عبد الحميد هنداوي – وتهذيب اللغة 143/9.

(٢) لسان العرب 169/12

(٣) الفروق اللغوية 433

(٤) الكليات 1113 لأبي البقاء – أيوب ابن موسى الحسين الكوفس مؤسسة الرسالة – بيروت.

وحين عبر بالقلب الذي هو محل الإيمان أتبعه بقوله (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

والمراد بالمؤمنين في قوله (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أي من المؤمنين المصدقين بوعد الله [١] الذي وعدها إياه في قوله (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

ولننظر إلى قول الحق سبحانه حين قال (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ولم يقل من المؤمنات يمكن أن يقال أنه ذكرها بصيغة الرجال للتغليب.

ولكنها بموقفها هذا وانقيادها إلى أمر الله عدت من الرجال.

(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) " والتعبير عنها بأخوته عليه الصلاة والسلام دون أن يقال لابنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالأمر [٢] ومما لا يخفى علينا أن في المهمة التي ستقوم بها خطر كبير عليها فلابد من وازع قوي يعينها أو يدفعها لأدائها وهو وازع الأخوة أو آصرة الأخوة التي تربط بينهما.

والقص في اللغة معناه : اتباع الأثر [٣] والمراد به هنا تتبع خبر موسى عليه السلام، ففي هذا التعبير استعارة تبعية حيث شبه تتبع سماع خبره بتتبع الأثر بجامع أن كلاً منهما يوصل للغاية المنشودة أو يدل على صاحبه ثم استعير القص لتتبع الخبر ثم اشتق من القص بمعنى تتبع الخبر قصيه أي تتبعي خبره على سبيل الاستعارة التبعية.

وفي قوله (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) يدل على أن هناك إيجاز بالحذف والتقدير فذهبت فأخذت تبحث وتسأل حتى رأته.

ولننظر إلى دقة التعبير القرآني في وقوله (فَبَصُرَتْ بِهِ) ولم تقل أبصرته

(١) الكشاف 395/3.
(٢) تفسير أبي السعود 115/5
(٣) اللسان 121/12.

أو رأته فالفعل تبصر يقال لقوة القلب المدركة وقلما يقال بصرت في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب [١].

فهذا التعبير يدل على أن أخت موسى قد علمت أن هذا الطفل الذي يحمله خدم فرعون هو أخوها وأيقنت ذلك بقلبها.

ويؤيد هذا الكلام قوله تعالى (عَنْ جُنُبٍ) فهي لم تعاينه ولكنها قد استشعرت هذا بقلبها.

وجملة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) تأكيد على عدم علمهم بأنها تتبع خبره وأثره وقد أشرنا إلى صياغة هذه الجملة ونظمها وما فيها من تقديم للمسند إليه على الخبر المنفي.

وكذلك حذف متعلق الفعل (يَشْعُرُونَ) لتذهب النفس في تفسيره كل ما ذهب وفي هذا إعمال للفكر ومداعاة للتدبر.

وجاء قوله (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) لدفع ما يتوهم ابتداء من أنه يمكن لأي امرأة أن ترضع موسى غير أمه.

وفي قوله (حَرَّمْنَا) استعارة للمنع [٢] وهي استعارة تصريحية تبعية حيث شبه المنع من الرضاعة من أي امرأة سوى أمه بالتحريم بجامع أن الفعل في كلاهما محظور ثم استعير التحريم للمنع ثم اشتق من التحريم بمعنى المنع حرمنا بعني منعنا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وتقديم الجار على المجرور (عَلَيْهِ) يدل على الأمر كان خاصاً بسيدنا موسى عليه السلام. وهو امتناع عن أي مرضعة سوى أمه فهذه خصيصة لموسى عليه السلام (لا يرضع لبن كافرة) [٣].

---

(١) المفردات 127/1.
(٢) الكشاف 396/3.
(٣) حاشية الشهاب علي البيضاوي 65/7.

والفاء في قوله (فَقَالَتْ) تؤذن بجملة مقدرة أي فأظهرت أخته نفسها كأنها مرت بهم من غير قصد [١] وهذا إيجاز بالحذف وهو من حذف جملة.

والقرآن الكريم يطوي مالا داعي لذكره لأنه يفهم من السياق.

والاستفهام في قوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ) للعرض تلطفاً مع آل فرعون وإبعاداً للظن عن نفسها[٢] فجاء كلامها بصيغة الاستفهام حتى لا يتوهم أو يظن أحد بها شيئاً.

وفي قوله (يَكْفُلُونَهُ) استعارة فالكفل في اللغة ما يحفظ الراكب من خلقه[٣] حيث استعير هنا لضم موسى إليهم ورعايتهم له وذلك لأن الكفل لما كان مركباً ينجو براكبه صار متعارفاً في كل شدة[٤].

وفي التعبير بالجملة الإسمية في قوله (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) [٥] لقصد تأكيد أن النصح من سجاياهم ومما يثبت لهم [٦].

وفي تقديم الجار والمجرور (لَهُ) على (نَاصِحُونَ) دل على أنهم سيخصونه بمزيد من الاهتمام والرعاية مع أن النصح سجية لهم.

وفي قول أخت موسى تحفيز لقوم فرعون لأن يعطوه لأهل هذا البيت فليست المرضعة فقط هي الممدوحة ولكن أهل البيت جميعهم ناصحون وهي كذلك تضمن لموسى بيئة طيبة صالحة فيها الأخلاق الطيبة مع اللبن.

والفاء في قوله (فَرَدَدْنَاهُ) عاطفة على محذوف والتقدير فقبلوا عرضها وأعطوها الطفل وأخذته وذهبت به إلى أمها.

---

(١) التحرير والتنوير 20 /25.
(٢) التحرير والتنوير 25/20.
(٣) لسان العرب 91/13.
(٤) المفردات 718/1.
(٥) يقال نصحت فلان نصحاً وقد نصحت له نصيحتي نصوحا : أي أخلصت وصدقت. تهذيب اللغة 147/4.
(٦) التحرير والتنوير 25/20.

والتعبير بنون العظمة (فَرَدَدْنَاهُ) يدل على عظمة هذا الفعل وعلى مدى قدرته سبحانه وتعالى فأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

والتعبير بقوله (كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) فيه كناية السعادة والسرور كما ذكر آنفاً وجاء قوله (لَا تَحْزَنَ) لبيان تمام النعمة فهي قد تسعد لكن قد يطرأ لها حزن بعد ذلك فجاء قوله (لَا تَحْزَنَ) لنفي هذا الذي قد يطرأ مستقبلاً.

وكان مقتضى السياق أن يقال إن وعدنا حق لقوله (فَرَدَدْنَاهُ) لكنه عدل عن ذلك إلى قوله(إن وعد الله حق) وجاء باسم الجلالة (الله) حتى يقرع هذا الاسم الآذان فهو الإله الحق ووعده الحق وإذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

وفي إضافة الوعد إلى اسم الجلالة (الله) تعظيم وتفخيم لهذا الوعد.

كما أن التنكير في قوله (حق) كذلك للتفخيم والتعظيم.

وقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) التفات من الحديث عن أم موسى إلى الحديث عن الناس.

وقيل أنه " تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون " [1]

(١) تفسير أبي السعود 116/5.

الحوار مع زوج موسى عليه السلام :

قال تعالى (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) القصص ٢٣-٢٩ .

قوله تعالى (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) [١] عبر عن الوصول والدخول بالورود للدلالة على أنه اقترب كثيراً من الماء حتى رأى هاتين المرأتين.

وعبر عن وصول المكان بالورود لأنه لما كان المكان [٢] مكان ماء وأن من قصده قصد الورود عليه عبر عنه بالورود.

وقيل إن المقصود بماء مدين "بلاد مدين لأن القبائل كانت تقطن عند المياه وكانوا يكنون عن أرض القبيلة بماء بني فلان ويناسب الغريب أنه جاء ديار قوم يقصد الماء لأنه مجتمع الناس فنهالك يتعرف لمن يصاحبه ويضيفه"[٣].

---

(١) الورد : خلاف الصدر – يقال ورد الماء إذا أحضرته لتشرب – لسان العرب 191/190/5.

(٢) التحرير والتنوير ٣٧/٢٠.

(٣) التحرير والتنوير ٣٧/٢٠

وعبر بأمة في قوله (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً) لإرادة الكثرة فهم جماعة كثيرة فالأمة القرن من الناس [١] فقد استعار الأمة للجماعة الكثيرة ليبين مدى كثرة هؤلاء القوم وتزاحمهم على الماء.

والاستعارة هنا قد صورت لنا حالة هؤلاء القوم وهم مجتمعون متزاحمون على الماء ورسخت هذه الصورة في الذهن بقوله تعالى (أمة).

ونلاحظ في هذه الآيات أن فيها حذفاً للمفعول في أربعة مواضع (يسقون – تذودان – لا نسقي – سقى).

وهذا الحذف إضافة لما فيه من الاختصار والاستغناء عما لا فائدة منه،فيه صب للاهتمام على الحدث وأن هذا الحدث قد وقع من الفاعل.

وفي هذه الآية يقول عبد القاهر "فيها حذف مفعول في أربعة مواضع وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم وامرأتين تزودان غنمهما وقالتا : لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما ثم أنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقاً وما

ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في الحال سقي ومن المرأتين زود وأنهما قالتا لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء وأنه كان من موسى عليه السلام من بعد ذلك سقى فأيا ما كان المسقى غنماً أم إبلاً أم غير ذلك فخارج عن الغرض وموهم خلافه"[٢]

فالشيء الذي أثار انتباه موسى عليه السلام في هذا المشهد هو أنه كان من هاتين المرأتين سقى لأنه ليس من عادة العرب أن تقوم المرأة بهذه المهمة ومع ذلك لم يجد نخوة من القوم فوجدهم يسقون ويتركون هاتين المرأتين يلاقون ما يلاقون من الزحام.

---

(١) لسان العرب 158/1

(٢) دلائل الإعجاز ١٦١مطبعة المدني الطابعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م

والتعبير بالمضارع (يسقون – تذودان) فيه استحضار لصورة هؤلاء القوم حالة السقي وصورة المرأتين وهما تكفان غنمهما عن البئر.

وقد فصلت جملة (قَالَ مَا خَطْبُكُمَا) [١] وذلك لما بينهما من شبه كمال الاتصال فكأن سائلاً سال ماذا فعل موسى عليه السلام حينذاك ؟ فكان الجواب قال ما خطبكما.

والتعبير بالمضارع (نسقي) للدلالة أنهما تستمران على عدم السقى إلى أن ينصرف الرعاء [٢] وعلى هذا النحو يستغرق أمرالسقى منهما وقتاً طويلاً قد لايتحملاه للطبيعة الخلقية فيهما مع شدة الحر.

ثم أتت في نهاية الكلام بقولها (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) [٣] وأراه من قبيل الاحتراس[٤] أو حتى لا يتوهم موسى عليه السلام أن قيامهما بهذا العمل عن مقدرة منهما وإنما ألجأتهما إليه الضرورة هو أن أبوهما شيخ كبير لا يستطيع الإتيان إلى مكان الماء والمزاحمة عليه.

ولم تقتصر في وصف أبيها على (شيخ) فقط وإنما أتبعته وصفاً آخرا، هو (كبير) حتى تؤكد الضعف التام لأبيها وعدم مقدرته القيام بأمر السقي والتعبير بالفاء في قوله (فسقى لهما) دل على أنه لم يلبث وقتاً طويلاً في السقي بل سارع وزاحم القوم حتى سقى لهما.

وقوله (رب إني أنزلت من خير فقير) دعاء وتضرع إلى الله سبحانه وتعالى وإظهار للضعف والفقر بين يديه سبحانه.

---

(١) الخطب : الشأن والأمر صغر أو عظم. القاموس المحيط 103

(٢) التحرير والتنوير 39/20

(٣) شيخ : يقال لمن طعن في السن المفردات 469/1

(٤) الاحتراس ان يؤتى فى كلام يوهم خلاف مقصود بما يدفعه. بغية الإيضاح ١٢٥/٢– عبد المتعال الصعيدى مكتبة الاداب ١٤٩٧/١٤١٧

والتعبير بالفعل (أنزلت) يشعر برفعة المعطى [١] وتقديم الجار والمجرور (إلى) دل على أن الله سبحانه خصه بمزيد من النعم والتي تستوجب الشكر والحمد.

وتنكير كلمة (خير) لتعظيم هذا الخير وقول (من) على (خير) دل على أن القليل من هذا الخير عظيم جداً فما بالك بالكثير منه وقد اختصه الله سبحانه بكثير من الخير والنعم.

وتنكير (فقير) دل على أنه صلى الله عليه وسلم صار فقيراً جداً لأقل أنواع الخير والنعم التي أنعمها عليه من قبل.

والفاء في قوله (فجاءته) دلت على أنها لم تلبث وقتاً طويلاً بعد أن قصت على والدها الحكاية فأرسلها بسرعة لدعوة موسى عليه السلام.

ونرى النظم البديع يركز على أهم ما تتحلى به المرأة وهو الحياء فيقول (تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) والتعبير بالفعل المضارع (تمشي) دون الاسم وذلك لاستحضار تلك الصورة الجميلة الرائعة التي ينبغي أن تكون عليها كل امرأة من صفة الحياء في المشي والقول.

وتنكير (استحياء) للتفخيم [٢] فكانت على حياء عظيم صحبها في مجيئها ومشيها.

وقد فصلت جملت (قالت) عما قبلها وذلك لما بينهما من شبه كمال الاتصال فهي بمثابة جواب على سؤال مقدر تقديره فماذا قالت لموسى عليه السلام عند مجيئها ؟

وتأكيد الخبر في قوله (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ) للتأكيد على مضمون الخبر وهو دعوة أبيها لموسى عليه السلام حتى يتقرر هذا الكلام لدى سيدنا موسى عليه السلام لتتأتى منه الاستجابة ولينفي لديه أي شك تجاه هذه الدعوة.

---

(١) التحرير والتنوير 41/20

(٢) تفسير أبي السعود 119/5

ونلحظ أنها صورت كلامها بقولها (إِنَّ أَبِي) حتى لايتوهم موسى عليه السلام شيئاً لذلك أسندت الدعوة إلى أبيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبه وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى [١]

وأطلق الأجر في قوله (أَجْرَ مَا سَقَيْتَ) [٢] على الجزاء والمكافأة على سبيل الاستعارة وفي ذلك إثبات لاستحقاق الجزاء على هذا العمل الذي قام به موسى عليه السلام.

والفاء في قوله (فَلَمَّا جَاءَهُ) دلت على محذوف إذ تقدير الكلام فانطلق معها حتى وصل إلى مكان أبيها فلما جاءه.

كما أن فيه إشارة إلى أن موسى عليه السلام " أجاب المستدعية من غير تلعثم برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برأيه "[٣]

وفي قوله (وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) جناس الاشتقاق [٤] والجناس هنا قد أحدث تناغماً وتناسقاً في اللفظ.

كما الإتيان بلفظه قص والقصص ينبئ عن صدق هذا القصص فما قصه هو القصص الحقيقي أو هو ما حدث.

وقد فصلت جملة (قَالَ لَا تَخَفْ) عما قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال فكأن سائلاً سأل ماذا قال له بعد أن قص عليه حكايته فكان الجواب (قَالَ لَا تَخَفْ) والنهي في قوله (لَا تَخَفْ) أريد به النصح والإرشاد.

فهو يريد أن يطمئنه ويهدئ من روعه فأمنه وقال لا تخف فإن هذه الأرض ليست تحت حكم فرعون ثم زاده تطميناً بقوله نجوت من القوم الظالمين .

---

(١) تفسير أبي السعود 119/5

(٢) الأجر : ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً 0 المفردات 64/1

(٣) تفسير أبي السعود 119/5

(٤) صفوة التفاسير 435/2 – جناس الاشتقاق : أن ترجع اللفظتان إلى أصل واحد أو مصدر واحد

وقد فصلت جملة (نَجَوْتَ) عما قبلها (لَا تَخَفْ) لكمال الانقطاع فالأولى إنشائية لفظاً ومعنى والثانية خبرية لفظاً ومعنى .

وإيثار (الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) دون (نجوت من فرعون وملائه) مثلاً ليتسنى وصفهم بهذه الصفة على مر الأزمان والعصور.

كما أنه أدخلهم في زمرة هؤلاء الظالمين الذين بلغوا في الظلم مداه ، فكأنهم بذلك هم الظالمون دون سواهم لأنهم بلغوا في الظلم غاية لم يدانيهم فيها أحد.

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا) كلام منفصل عما قبله يدل على أنه كان هناك فاصل زمني بين الكلامين.

والإتيان بأداة النداء (يا) التي للبعيد للتعظيم وهذا ينبئ عن أدب هذه الابنة

كما أن تقديم الحديث بهذه الطريقة فيه مداعاة لتلبية طلبها من استئجار موسى عليه السلام.

والأمر في (اسْتَأْجِرْهُ) ليس على حقيقته إما أن يكون للنصح فهي تنصح لأبيها لما رأته من صفات طيبه في هذا الرجل.

وإما أن يكون للتمني فهي تتمنى هذا الأمر في قرارة نفسها وإن كان أدبها وحياؤها يمنعها من إبدائه فأتت به على هذه الطريقة من النصح لأبيها ، وقد لمح أبوها هذا الأمر منها وطلب من موسى عليه السلام أن يزوجه إياها.

وقوله (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) أطلق عليه الزمخشري كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية

والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل [١]

وفي تقديم خير وجعله اسماً لأن في قوله (إِنَّ خَيْرَ) للاهتمام به وللمبالغة في خيريته [٢] عناية بثبوت هذه الخيرية والأفضلية.

(١) الكشاف 403/3

(٢) الكشاف 404/3 ، حاشية الشهاب 70/7

كما أن فيه مبالغة على أنه حقيق بالاستئجار [١] فهي له في القوة والأمانة ولكن أتت به على طريق التعميم.

والإتيان بالفعل (اسْتَأْجَرْتَ) في صورة الماضي وكان المقتضى أن يقال أن خير من تستأجر لإرادة تحقيق هذا الفعل.

كما أن فيه دلاله على انه أمين مجرب [٢].

والإتيان باسم الموصول (مَنْ) للتعميم ، فهي لم تقل إنه قوي أمين ولكن أتت بالتعميم (تعريضاً) [٣] بذلك أي بقوته وأمانته وذلك على ما يقتضيه الحياء والحشمة.

وقوله (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ) أكد فيه الكلام (بأن) ليؤكد رغبته في هذا الشخص وفي إنكاحه ابنته ونلاحظ أنه قد أثبت الرغبة لنفسه لما رآه من ابنته من تلميح بحرصها على استئجاره.

ونلحظ من سيدنا شعيب أنه لم يفرض عليه واحده يعينها بل ترك له الاختيار بين هاتين التين سقى لهما.

وأشار بهاتين إلى هاتين المرأتين الذي سبق لك المعرفة بهما.

وسميت السنة حجة لأنها يكون فيها الحج فهي من تسمية الشيء باسم ما يكون فيه [٤] والغرض من تسمية السنة حجة هو والله أعلم أن قبل هذا العرض وارتضاه فسيكون بمثابة الحجة من الفرضية فيكون قبوله هذا العرض بمثابة فرض لا يمكن له نقضه أو التحلل منه إلا بعد انقضاء المدة المتفق عليها.

---

(١) تفسير أبي السعود 120/5

(٢) تفسير أبي السعود 120/5

(٣) حاشية الشهاب 169/5.

(٤) الحجة : السنة – الكليات 6390 – الفروق اللغوية 176.

ويمكن أن يكون الغرض من تسمية السنة حجة هو أن الحاج يكون زائراً للبيت ثم يعود بعد ذلك لموطنه، وموسى عليه السلام لم يكن مقيماً في مدين وإنما مكثه فيها لمدة محددة ثم يعود إلى موطنه.

وفي قوله (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) مجاز عقلي علاقته السببية لأن الأصل أن تسند المشقة للعمل فيقال عمل شاق لكن عدل عن ذلك وأسند المشقة لنفسه تجوزاً.

وهو بذلك يحمل نفسه وزر المشقة الحاصلة لموسى من العمل لأنه هو الذي كلفه بها.

والتعبير باسم الإشارة للبعيد (ذلك) في قوله (ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ) فيه تعظيم لهذا الأمر أو لهذا العقد من قبل موسى وهذا التعظيم يقتضي الوفاء وإتمام هذا العقد ويؤكد موسى عليه السلام أنه مخير في أي الأجلين يقضيهما بقوله (أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) [1] و (ما) زائدة للتأكيد [2].

وقوله (فلا عدوان علي) فيه نفي للمصدر عدوان فهو نفي لأصل العدوان كبيره وصغيره.

وتصدير جملة (والله على ما نقول وكيل) باسم الجلالة الله للإشعار بالمهابة والعظمة وهذا يقضي الالتزام بما أبرم بينهما.

والتعبير ب (ما) للتعميم فالله ليس وكيلاً فقط على هذا الأمر ولكنه وكيل على كل شيء وعلى كل الأقوال.

والفاء في قوله (فلما قضي موسى الأجل) عاطفة على محذوف وتقدير الكلام فاتفقا فيما بينهما وعقد العقد فلما أتم موسى الأجل ، والأجل هنا لم يعين ولكن لما كان الكلام والقضاء يتعلق بيني صار الأجل الأوفى هو المتعين في حق الأنبياء ، فالمقصود بالأجل الأجل الأتم والأوفى.

---

(١) الأجل الوقت المضروب لانقضاء الشيء ولا يكون أجلاً بجعل جاعل وما علم أنه يكون في وقت فلا أجل له إلا أن يحكم بأنه يكون – الفروق اللغوية 20.

(٢) التحرير والتنوير 47/20، المحرر الوجيز 191/5

(وسار بأهله) الباء في قوله (بأهله) للمصاحبة أي بصحبة زوجه، والأهل : يكنى بها عن الزوجة فأهل الرجل هم أخص الناس به [١].

وأثر النظم القرآني التعبير بقوله (آنس) دون أبصر في قوله (آنس من جانب الطور نارا) لأن الإناث يفيد الأنس بما تراه[٢] وسيدنا موسى عليه السلام قد استأنس برؤية هذه النار بل فرح برؤيتها لأنه كان في حاجة إليها لأغراض شتى إما للتدفئة وإما ليستنيرو بها.

وقد وردت الآية فى سياقات مختلفة " فمرة نجده يقول (سآتيكم)ومرة يقول (لعلى آتيكم) فى الآية التى معنا فلعل تفيد الرجاء وقوله (سآتيكم) على وجه يفيد اليقين.

" وذلك لأنه لا يدرى حين يصل إلى النار أيجدها مشتعلة لها لسان يقتبس منه شعلة أم يجدها قد هدأت ولم يبقى منها ألا الجزوة وهى القطعة المتوهجة... فهو تكامل فى اللقطات تأتى متفرقة حسب المراد من العبرة والتثبيت [٣].

وتنكير (جذوة) و(خبر) للتعظيم ناتج عن حاجتهم الشديدة لكلا الأمرين ، فهم فى حاجة للخبر لأنهم قد ضلوا الطريق وهم فى حاجة ماسة إلى من يأتيهم بخبر الطريق الصحيح ، وكذلك فى حاجة شديدة للجذوة لأن الجو كان شديد البرودة.

وقد دل على ذلك قوله (لعلكم تصطلون) والاتيان بلعل هنا لأنه لم يكن على يقين بحقيقة هذه النار أو لم يكن على يقين من ادراكها.

الحوار مع ملكة سبأ :

(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) من ٢٩-٤٤

فصلت جملة (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ) عما قبلها وذلك لما بينهما من شبهه كمال الاتصال فكأن سائلاً سأل فماذا قالت بعدما ذهب الهدهد وألقى إليها الكتاب.

(١) اللسان 186/1.
(٢) الفروق اللغوية 24.
(٣) تفسير الشعراوى 6708

وتتجلى براعة الإيجاز فى هذه القصة وهو إيجاز بحذف الجمل فقد طوى عنا جملا لكن هذه الجمل المطوية مما لا يخفى على السامع إدراكه فتقدير الكلام فذهب فألقاه إليها فلما قرأته [١] ثم جمعت قومها (وقالت يا أيها الملأ) كما أن الحذف ينبئ عن (كمال مسارعة الهدهد إلى إقامة ما أمر به من الخدمة [٢] ولننظر لإستهلالها كلامها بالنداء ومعلوم أن النداء يستخدم حين يكون الأمر مهماً حتى ينتبه القوم لما ستقول.

ويؤكد هذا الأمر مجيئها بهاء التنبيه فهى حريصة على إصغاء هؤلاء القوم للأمر الذى ستخبرهم به وخاصة أنها تعلم أن من جمعتهم ذو حكمة ودراية فى عظائم الأمور.

ونجد الفعل (ألقى) مبيناً للمفعول وذلك إما لأنها تغض الطرف عن الفاعل لأنه أمر يثير عجب الحاضرين ، أو لصب الاهتمام على الحدث الذى هو الإلقاء نفسه دون فاعله.

ولا نقول إن تقديم الجار والمجرور فى قوله (إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) لرعاية الفاصة وإنما لاختصاصها بهذا الكتاب دون غيرها.

وتنكير (كتاب) للتعظيم فالكتاب من عظيم وهو سليمان عليه السلام ومختوم بختم الملك وزاد هذا المعنى تأكيداً وصف الكتاب بكريم فهو (كريم لأنه من عند ملك كريم أو حسن مضمونه ما فيه) [٣].

وقد فصلت جملة (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ) عما قبلها وذلك لما بينهما من كمال الاتصال فهذه الجملة بيان للكتاب.

---

(١) تفسير أبى السعود 5/ 81

(٢) الملأ: الجماعة وقيل أشرف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم لسان العرب 158/1

(٣) الكشاف 3 /363

وتأكيد الكلام بإن فى قوله (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فيه دلالة على اهتمامها بمرسل الكتاب وبما تضمنه الكتاب [١].

والنهى والأمر فى قوله (أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) مستعملان فى معنى النصح والإرشاد ، فسليمان عليه السلام يدعوهم بالحسنى أولاً.

وقيل إن النهى فى قوله (أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ) للتهديد [٢]

والذى أميل إليه أن النهى مستعمل فى معنى النصح والإرشاد ، وهذا دأب الرسل والنبيين خاصة حين يكون الأمر للمرة الأولى كما هو الحال هنا.

وقوله (وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) كناية عن الانصياع والإستجابة للأمر الذى يحمل فى طياته النصح والإرشاد فهو عليه الصلاة والسلام لا يقصد أمره بالإتيان الحقيقى وانما دخولهم فى الإسلام.

وقد فصلت جملة (قالت) الثانية عما قبلها وذلك لما بينهما من شبه كمال الاتصال فكأن سائلاً سال ماذا قالت : بعد ذلك ؟ فكان الجواب قالت : ياأيها الملأ.

ونجدها أيضاً قد آثرت النداء حتى تسترعى انتباه واهتمام الحاضرين لما ستقوله استشعاراً منها لأهمية الأمر الذى ستعرضه على الحاضرين.

وإيثار (يا) التى لنداء البعيد مع أنهم كانوا حاضرين للدلالة على رفعة هؤلاء القوم وعلو قدرهم فهم من أصحاب الرأى والمشورة الذين يعتد برأيهم خاصة فى عظائم الأمور.

فإعادة النداء مرة ثانية " وكررت (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ) للإيذان بغاية اعتنائها فى حيزها.

---

(١) التحرير والتنوير 19 / 253بتصرف

(٢) التحرير والتنوير 19 / 257

وقد أضافت الأمر إليها فى قولها فى (أمرى) ولم تقل فى الأمر وفى هذا بيان لكمال عنايتها بالأمر حتى تحث الحاضرين على صدق المشورة فى الأمر.

والتعبير بالاسم دون الفعل فى قوله (قاطعة) إذ لم تقل ما كنت أقطع للدلالة على ثبوتها على المشورة دائماً فبينت أن هذا ديدنها دائماً و الإتيان ب (كان) فى قوله (كنت) للدلالة على أن ماضيها يشهد لها بذلك فكم من أمر أخذت مشورتهم فيه.

وتنكير (أمراً) اما أن يكون للتعظيم فيكون المعنى أن مثل هذه الأمور العظيمة لا يمر دون مشورتكم.

وممكن أن يكون للتحقير فيكون المعنى أنها لا تمضى أى أمر كان عظيماً أو حقيراً إلا بعد أخذ مشورتهم.

والتعبير ب (تشهدون) فيه دلالة على أنها لا تكتفى بسماع مشورتهم عن طريق رسول أو غيره بل لابد من حضورهم فى مجلسها وسماعها منهم مباشرة دون وسطة والأمر بهذا أحكم وأصدق.

وحذف المفعول فى قوله (تشهدون) إذ تقدير الكلام تشهدونه إما للعلم به فلاداعى لذكر.

وإما أن يكون حذفه لقصد التعميم فيكون المعنى أنهم يشهدون جميع الأمور وأنها لا تقضى أى أمر من الأمور إلا بعد أخذ رأيهم.

وقد قصدت بهذا الكلام أى الآية (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) استعطافهم وتطييب نفوسهم ليساعدوها ويقوموا معها ، وفى هذا دلالة على حكمة هذه المرأة وحسن تصرفها.

وقد فصلت جملة (قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ) عما قبلها وذلك لما بينهما من شبه كمال الاتصال فكأن سائلاً سأل فماذا قالوا لها ؟ فقيل (قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ) والتعبير بالمسند إليه (نحن) فيه دلالة على اعتدادهم بأنفسهم

وبقوتهم وعتادهم وتنكير (قوة) وتنوينها للتفخيم والتعظيم ، وأكدوا ذلك بوصف بأس ب (شديد).

وقولهم (الأَمْرُ إِلَيْكِ) فيه تفويض على أن القرار النهائى موكول لها ، والأمر فى قوله (فَانظُرِي) ليس مراداً به حقيقته وليس من المعقول أن يصدر أمر من الأدنى إلى الأعلى فهم لا يأمرون هذه الملكة وإنما يفوضون الأمر لها فى النهاية بعد اعطائها المشورة.

وحذف المفعول فى قوله (تأمرين) إذ أصل الكلام ماذا تأمرينا ولكن حذف المفعول للدلالة على أن أمرها نافذ عليهم وعلى غيرهم وهذا دلالة على تمجيدهم الزائد لهذه الملكة.

وقد فصلت جملة (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) عما قبلها وذلك لما بينهما من شبه كمال الاتصال فكأن سائلاً سأل فماذا كان رد بليقس على قومها فكان الجواب (قالت إن الملوك.....)

وقد أكدت كلامها بإن فى قولها (إن الملوك)وفي ذلك تنزيل لغير المنكر منزلة المنكر، فهم لا ينكرون كون سليمان ملك وأن هذا ديدن الملوك ولكن لما تقدم من مشورتهم عليها بالقتال والحرب صاروا كأنهم منكرون لما يفعله الملوك وقت الحرب.

وفى تقييد المسند (بإذا) دون (إن) فى قوله (إذا دخلوا) دلالة على أنها رأت من قوة سليمان عليه السلام ما دعاها تجزم بأنهم لو خاضوا جرباً معه ستكون له الغلبة.

وفى تنكير (قرية) ما يدل على التعظيم أى : مهما كان عظم هذه القرية وقدرها فالملوك لا يعبأون بذلك.

ولا يخفى ما بين (أعزة و أذلة) من الطباق فكأنها تضع الأمرين نصب أعين القوم وتقول لهم ليس بمستبعد تحول الحال من العز إلى الذل.

وقوله (كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) تنزيل مؤكد لمضمون الكلام السابق [١] أتت به لتأكد للقوم كلامها عن الملوك فى حال الحرب والقتال.

وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى [٢] وفى هذا دلالة على رجاحة عقل هذه المرأة إذ أيدها المولى سبحانه فى عليائه وأكد صحة ما قالت.

وتأكيد الكلام فى قوله (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ) والإتيان بالجملة الإسمية التى تدل على الثبوت والدوام للإيذان بأنها مزمعة على رأيها ولا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عنه عاطف [٣].

وتنكير (هدية) للتفخيم والتعظيم وقد عزمت على إرسال هدية عظيمة جداً حتى تختبر سليمان عليه السلام.

والإتيان بالجملة الاسمية (فناظرة) فيه دلالة على أنها ستتريث وتتثبت حتى ترى رد سليمان عليه السلام.

والفاء فى قوله (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) تدل على أن هناك كلاماً محذوفاً فهو إيجاز بحذف الجمل إذ تقدير الكلام فأمرت بتجهيز العطايا والهدايا فذهبوا بها إلى سليمان عليه السلام.

وبراعة الحذف تكمن فى أن القصة تستقيم معه والفائدة تحصل بدون الذكر

وكذلك قوله (قال) يسبقه حذف فتقدير الكلام فلما رأى سليمان عليه السلام ما جاءوا به (قال.....).

والاستفهام في قوله (أتمدونن) للإنكار والتوبيخ والتعريض بسفاهة هؤلاء القوم.(4)

وزاد الإنكار حدة وشدة مجيء الفعل بصيغة الخطاب.

---

(١) تفسير أبى السعود 5 / 83
(٢) المرجع السابق 5/ 83
(٣) المرجع السابق 5/ 83

كما أن مجيئه بصيغة الخطاب للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب[١].

وتنكير مال في قوله (بمال) للتحقير.

والتعبير بالإيتاء دون الإعطاء في قوله (فَمَا آتَانِيَ) لأن الإيتاءأقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله لأن الإيتاء له مطاوع، يقال أعطاني فعطوت ولا يقال في الإيتاء آتاني فآتيت...فالملك شئ عظيم لا يعطيه إلا من له قوة[٢].

فملك سليمان كان عظيما ويؤكد هذا الكلام التعبير عن الملك باسم الموصول (ما) في قوله (فَمَا آتَانِيَ الله) للتفخيم والتعظيم كأن هذا الملك لعظمته يعجز اللسان عن وصفه فقد دعا الله سبحانه أن يهبه ملك لا يوهب لأحد من بعده.

وتنكير (خير) للتعظيم والتفخيم فلا شك أنه خير عظيم.

واسم الموصول في قوله (مِّمَّا آتَاكُم) للتحقير فلا وجه للمقارنة بين الإتاءين.

وقوله (بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) إضراب للتنبيه على أن إمداده عليه السلام بالمال أمر قبيح.. [٣]

وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله (أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) يفيد تقوية الحكم وتوكيده وفيه دلالة على "قصور همتهم على الدنيا والزيادة فيها"[٤].

وقدم الجار والمجرور (بهديتكم) على الفعل تفرحون لأن الإنكار منصب عليهم فالفرح في حد ذاته ليس منكرا وإنما الفرح بالهدية هو محط الإنكار.

والأمر في قوله (ارجع إليهم) يحمل في طياته شيء من الإهانة والتخويف.

وتأكيد الخبر في (فلنأتينهم) للدلاله على عزمه المؤكد على هذا الفعل.

---

(١) روح المعاني ٢٦٢/١٩

(٢) البرهان في علوم القرآن ٨٦/٣ للزركشي – دار إحياء الكتب العربية – عيسي الحلبي – ط أولى ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م

(٣) روح المعاني ٢٦٣/١٩

(٤) روح المعاني ٢٦٣/١٩

والإتيان بكلمة (جنود) وهي جمع الجمع فهي جمع جند للمبالغة في الكثرة ويؤكد هذا الكلام مابعده وهو قوله (لّا قِبَلَ لَهُم بِهَا).

وقوله (لّا قِبَلَ لَهُم بِهَا) "كناية عن الطاقة أو القدرة أي لا قدرة لهم على مقابلتها أو لا طاقة لهم بها" (١).

ثم أمعن في التخويف في قوله(وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً).

وعبر بجمع القلة في قوله (أذلة) تأكيدا لذلتهم (٢) وأنهم لا يعتد بهم.

وقوله(وَهُمْ صَاغِرُونَ) تذييل أكد به الكلام السابق.

وقد فصلت جملة (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ) عما قبلها وذلك لاختلاف جهتي الخطاب.

وجاء بالنداء لأهمية الأمر الذي سيلقى ولجذب الانتباه وقد ناداهم ب (يا) التي لنداء البعيد تعظيما ورفعا لشأنهم.

وذكر(من الجن) بعد (عفريت) لأن العفريت قد يكون من الإنس (فيقال للرجل الخبيث المنكر عفريت) (٣).

وتعريف المسند إليه بضمير المتكلم أنا في قوله (أَنَا آتِيكَ بِهِ) يدل على الإعتداد بالذات فهذا العفريت يعتد بقوته الخارقه التي تمكنه من الإتيان بأمور لا يقدر عليها غيره.

وقد أكد هذا الكلام بقوله **(وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)**.

فقد أكد الخبر بإن واللام حتي يؤكد لسليمان مدى قوته من الإتيان بالعرش في هذه المدة الوجيزة التي أشار إليها بقوله **(قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ)**.

---

(١) روح المعاني ٢٦٣/١٩.
(٢) تفسير أبو السعود ٨٤/٥.
(٣) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

وجملة **(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ)** على الأظهر أنها من قول أحد أتباع سليمان [١].

وتعريف المسند إليه بالموصول (الذي) حتى يتمكن من وصفه بالوصف الذي جاء بعده.

وتنكير (علم) للتفخيم والتعظيم من شأن هذا العلم.

وأل في (الكتاب) لبيان الجنس أي جنس الكتاب وهو بذلك يشمل الكتب المنزلة أو اللوح المحفوظ [٢]

وآثر التعبير بالارتداد على الرد في قوله **(قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)** "وذلك لكونه أمر طبيعي غير منوط بالقصد" [٣].

وفي قوله **(فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا)** إيجاز بالحذف إذ التقدير : فأتاه به، لاستغنائه عن الإخبار به لبيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام إياه....وللإيذان بكمال سرعة الإتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه الصلاة والسلام إياه شيء ما أصلا[٤].

وقيد الرؤيا بقوله **(مُسْتَقِرًّا)** "لإيهامه أنه لم يتوسط بينهما ابتداء الإتيان أيضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه" [٥].

فالتعبير باسم الفاعل أفاد الثبوت والدوام.

---

(١) روح المعاني ٢٦٦/١٩.
(٢) تفسير أبو السعود٨٥/٥.
(٣) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.
(٤) السابق ٨٦/٥.
(٥) السابق ٨٦/٥.

ولفظ الرب فى قوله (هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي) يناسب مقام النعم لأن الرب هو المتفضل على عبادة بشتى النعم.

وبين قوله (أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) طباق قد أضفى على المعنى جمالاً وبهاءاً فقد وضع الأمرين فى موضع واحد وفى هذا مداعاة للتدبر والتفكر.

فحيث وجدت النعم فالواجب على العبد شكرها لأن الشكر يستوجب بقاء النعم وزيادتها قال تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ).

وفى قوله (من شَكَر) ذكر جواب الشرط فقال (فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) وفى قوله (وَمَنْ كَفَرَ) حذف جواب الشرط والتقدير فعليه كفره ترغيباً فى عفو الرب.

وذكر بعده قوله (فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) فهو سبحانه غنى عن الشكر " كريم " بترك تعجيل العقوبة والإنعام مع عدم الشكر أيضاً [١].

(قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أمرهم بتوسعته ليمتحن عقلها [٢] وقوله (مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) أبلغ من قوله لا يهتدون فى نفى الاهتداء لأن هذا الوصف (الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) صار عاماً وهى حينئذ ستدخل فى زمرة هؤلاء القوم الذين يوسمون بهذه الصفة فى كل زمان ومكان.

وقد طوى القرآن الكريم خبر ارتحالها إذ لا غرض.. يتعلق به فى موضع العبرة والمقصود أنها خضعت لأمر سليمان عليه السلام وجاءت راغبة فى الانتساب إليه[٣].

وهذا دأب النظم القرآنى فى إيجازه وحذفه ما ليس له قيمة فى أداء العظة والعبرة.

---

(١) تفسير أبى السعود ٥/ ٨٧.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢٨٩ ونكره فتنكر أي : غيره فتغير. اللسان ٢٣٢/٥.
(٣) التحرير والتنوير ٢٦/١٩.

وقد بنى الفعل (قبل) للمجهول وذلك لصب الاهتمام على المقول الذى هو محط الرحال والأنظار وهو سؤال بلقيس عن عرشها هل هو أم لا؟

وكان السؤال لها بقوله (أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ) ولم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ماهو اللمقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش فى معرض الأشكال والاشتباه حتى يتبين حالهم [١]

ولينظر إلى جوابها وما تمتعت به من رجاحة العقل

حيث قالت (كَأَنَّهُ هُوَ) ولم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه من نوع فى مغايرة الصفات ومراعاة لحسن الأدب فى محاورته عليه الصلاة والسلام [٢]

ولا يخفى علينا ما تفيده كأن من قوة وجه الشبه بين المشبه والمشبه به

"فما كان من التشبيه صادقا قلت فى وصفه كأنه"[٣]

وقوله (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ)وبناء الفعل للمجهول للعلم به لأن الذى يؤتى العلم معلوم أنه الله لا أحد سواه.

وتعبيره بنون العظمة في (أوتينا) ولم يقل وأوتيت إظهارا لمكانته صلى الله عليه وسلم وما حباه الله به من العلم والملك.

وإسناد الصد فى قوله (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) إلى المعبود مجاز عقلى علاقته السببية[٤] وإلا فالفاعل *الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى.*

والتعبير عن المعبود ب **(مَا)** الموصولية فيه دلالة على حقارة هذا المعبود.

وقوله (إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) تعليل لإنتهاجها هذه العبادة.

---

(١) تفسير ابى السعود ٧/٥
(٢) تفسير ابى السعود ٧/٥
(٣) عيار الشعر ٢٤ لابن طباطبا – شركة فن الطباعة ٦ ١٩٥.
(٤) التحرير التنوير ٢٦٧/١٩

وفى ذكر فعل الكون مرتين فى (مَا كَانَتْ) و (إِنَّهَا كَانَتْ) فيه دلاله على تمكنها من عبادة الشمس وذلك بسبب الانحدار من سلالة المشركين فالشرك منطبع فى نفسها بالوراثة [١]

وفى قوله (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ) [٢] نجد أن الفعل (قِيلَ) جاء مبنيا للمفعول أيضا كما فى قوله (قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ) فالنظم القرآنى عند الأمور الخارقه والأحداث المبهره نجده يسلط الضوء على الحدث دون

النظر الى القائل.

وقوله (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) [٣]

حين ننظرالى التعبير القرآنى فى(حَسِبَتْهُ لُجَّةً) فهى قد اعتقدت تمام الاعتقاد أنه ماء وذلك لدقة صنعه بحيث لا يفترق عن الماء لذلك كشفت عن ساقيها حتى لا تبتل.

(قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ)وتأكيد الكلام بإن وذلك لما بدا عليها من أمارات الإنكار فهى قد كشفت عن ساقيها.

وتنكير صرح دليل على الفخامة والعظمة.

(قَالَتْ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظَلَمْتُ نَفْسِي) ولننظر إلى حذق هذه المرأة فقد اعترفت بذنبها أولا وأعلنت ذلك بين يدى ربها.

وإلاتيان بلفظ الرب لأن المقام مقام ذل وعبودية واعتراف بالذنب وقد أكدت كلامها (بإن) فى قولها (رَبِّ إِنِّي) وذلك تأكيداً منها وإقراراً بالذنب الذى كانت عليه وهو عبادتها للشمس.

(١) السابق نفسه
(٢) الصرح:القصر والصحن،وقيل الارض المملسة. لسان العرب٢/٥٠٩
(٣) لجة البحر :حيث لايدرك قعره.اللسان ٢/٢٥٣

والظلم وضع الشئ فى غير موضعه وأصل الظلم مجاوزة الجور ومجاوزة الحد،والشرك أعظم الظلم لأنه جعل النعمة لغير ربها[١]

وفى قولها(أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) جنا[٢] فالأصل الإشتقاقى للكلمتين واحد.

وقالت (أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) ولم تقل (أسلمت لسليمان) ولذلك لفطنتها ورجاحة عقلها وقدرتها على وضع الكلام فى مو

وقالت (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وكان يكفى أن تقول لله ولكنها أيضا لرجاحة عقلها أذعنت وأعلنت إيمان الألوهيه وإيمان الربوبية.

الحوار بين زكريا ومريم عليهما السلام

(١) لسان العرب ٣٧٣/١٢

(٢) إعراب القران وبيانه ٢١٨/٧

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)آل عمران:٣٧

جاءت الفاء فى صدر هذه الجمله لتدل على (سرعة الإجابة)[١] فالفاء تدل على أنه ليس هناك فاصل زمنى بين الدعاء وبين الإجابه.

وإيثار لفظ الرب فى قوله (**رَبُّهَا**) دون غيره لأن الرب هو المتولى أمور العباد والمصرف لشؤنهم.

وفى إضافة الرب للضمير (ها) تشريف للسيدة مريم عليها السلام.

وفى التعبير عن النشأة الصالحة باالإنبات الحسن فى قوله (وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) إستعارة [٢]

(١) التحرير والتنوير ٣/٧٨
(٢) التحرير والتنوير ٣/ ٨٨

حيث شبه نشأتها ورعايتها بالنبات الذى يتعهد بالرعايه بجامع الإهتمام والرعاية، ثم حذف المشبه واستعير المشبه به للمشبه ثم اشتق من الإنبات بمعنى الإنشاء الحسن أنبت بمعنى أنشأ على سبيل الإستعارة التبعية.

والإتيان بالمفعول المطلق نباتا أى إنباتا لتأكيد التعهد بالرعاية والعناية وزاد الكلام تأكيدا وصفه ب (حسنا).

وقوله (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) [1] يدل على تكرار هذا الحدث وهذا ماتفيده كلما، فالأمر لم يكن مرة واحدة ولا اثنتين وهذا مالفت نظر زكريا عليه السلام وأثار انتباهه.

وتنكير كلمة (رِزْقًا) فى قوله (وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) إما لتنوع هذا الرزق أو لغرابة وجوده فى هذا الوقت وهذا ينبئ عن عظمة هذا الرزق إذ كانت تأتيها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء.

وقد فصلت جملة (قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا)عما قبلها وذلك لما بينها من شبه كمال الاتصال، فكأن سائلا سأل ماذا قال زكريا حينما رأى هذا الأمر الغريب الخارق؟ فكان الجواب: قال :.....

و(يا) لنداء البعيد ونداء زكريا عليه السلام لها بهذه الأداة فيه رفع لشأنها ودلالة على علو منزلتها.

والاستفهام فى قوله (أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا) يشوبه التعجب لأنه لايدخل عليها أحد غيره فمن أين يأتيها هذا الرزق ؟؟

فكان جوابها (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) وكان يكفى ان تقول (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) ولكن ذكر المسند إليه (هو) لتقرر أن هذا الرزق الذى يراه من عند الله حقيقة لا مراء فيها.

(١) المحراب عند العامة: الذى يقيمه الناس اليوم مقام الإمام فى المسجد وقيل المحراب أرفع بيت فى الدار وأرفع مكان فى المسجد.اللسان١/٣٠٢.

وقد فصلت جملة (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [1] لأنها توكيد للكلام السابق فهى تذييل غير جار مجرى المثل.

وعبر بالمظهر اسم الجلاله (الله) مكان المضمر(إنه) لتقدم ذكره فى قوله (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)

لتقرر أن الله الذى رزقها هذا الرزق قادر على رزق غيرها فهذا الأمر راجع لمشيئته سبحانه.

(١) الحساب والحسابه:عدك الشئ. والمقصود به هنا بغير تقطير وتضيق. اللسان ١/٣١٠

حوار الملائكة مع مريم عليها السلام

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا(١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا(١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) مريم من ١٦-٢١

هذه الآيات تمثل الحوار الذى دار بين روح القدس جبريل عليه السلام وبين مريم عليها السلام حين أتاها ليبشرها بالولد فكان هذا هو الرد من الفتاة التى تولى رعايتها وانباتها الله عز وجل حيث قالت وهى تستبعد هذا الأمر بمقاييس البشر وهو كون لها ولد من غير أب.

وجملة (وَاذْكُر) معطوفه على جملة (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) والجملة الأولى (وَاذْكُر) إنشائية وهى جملة (رَحْمَتِ رَبِّكَ) إنشائية أيضا وإن كان ظاهرها أنها خبرية "فالمصدر ذكر وقع بدلا من فعله".[١]

وقوله(**إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**) [٢]

هذه الآية تدل على كمال انقطاع مريم للعباده فهى لم تتنح عن الناس فحسب بل اعتزلت حتى أهلها فهى لم تجد لذة الأنس إلا مع الله سبحانه وتعالى.

وفى قوله(فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا) تشبيه بليغ [٣] فكانت صورته لا تفترق عن صورة الآدمي،وهذا ما أداه التشبيه.

فالملك الذى هو جبريل عليه السلام قد أتى لها فى صورة إنسان تام الخلقة لذلك كان التعبير ب (سَوِيًّا) حتى يخبرنا أنه لم يكن هناك أدنى اختلاف بين صورة الملك وصورة الآدمى وكان ذلك ابتلاء لها لبيان كمال عفتها.

(١) التحرير التنوير ٢٠/١٦
(٢) انتبذ فلان الى ناحية أى تنحى إلى ناحية. اللسان ٥١١/٣،القاموس المحيط ٤٣٢/١
(٣) التحرير والتنوير ٢١/١٦

وقد فصلت جملة (قَالَتْ) عما قبلها وذلك لما بينهما من شبه كمال الاتصال، فهى بماثبة جواب عن سؤال أثاره الكلام السابق فكأن سائلا سأل فماذا قالت عندما رأت الملك ؟فكان الجواب: قالت.....

وجاء قوله (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ) مؤكداً بإن لتدل بذلك على كمال لجوئها لله عز وجل.

وقد آثرت صفة الرحمن دون غيرها من الصفات "لأنها أرادت أن يرحمها الله بدفع من حسبته داعرا عليها"(١)

وقد أتى الكلام فى قوله (إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا)مقترنا بإن الشرطية التى تفيد الشك فى تقواه قصدا لتهيج خشيته (٢) فهى بذلك تحثه على التحلى بالتقوى والخشيه من الله عز وجل كما أن من جاءها بهذه الحالة من اختراقه خلوتها يشك فى تقواه.

والاتيان ب (تَقِيًّا) واستعاذتها منه إن كان يتحلى بهذه الصفة لأنه هو الذى يتأتى منه الاستجابة للعظة والتذكير بالله أما غيره فلا.

وقوله (إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ) أسلوب قصر وهو من قصر القلب فقد جاء الحكم عكس معتقدها الذى ظننته بهذا الداخل عليها.

والأصل فى طريق القصر **(إنما)** أن يستخدم فى أمر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ومجيئ إنما فى هذا المقام مع أن مريم عليها السلام قد استعاذت منه لاعتقادها أنه بشر فيه دلالة على أن مثل مريم ممن تعهد الله برعايته وتربيته لا ينبغى أن يطرق إليها شك فى أن الله حافظها وعاصمها من البشر فلا يمكن لأي بشر أيا كان أن يتعرض لها بسوء.

وفى إضافة رب إلى مريم عليها السلام فى قوله (ربك **رَبِّكِ**) فيه رفع لشأن مريم إعلاء لمنزلتها.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/١٦

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/١٦

كما أن فيه تطمينا لها فهو يخبرها بأن ربك الذى تعهد برعايتك وتولى أمرك هو الذى أرسلنى إليك.

ثم شرع فى بيان علة المجئ بقوله (لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) وأسند الهبة إلى نفسه مع أن الفاعل الحقيقى هو الله وذلك لأنه سببه فهو الموكل بهذا الأمر فهوا مجاز عقلى [١] علاقته السببية.

وتقديم الجار والمجرور (لَكِ) **على** (غُلَامًا زَكِيًّا) فيه دلالة على أن هذا الأمر خاص بمريم دون غيرها من النساء، فهو وهب بطريقة خاصة غير المعهودة عند البشر.

وتنكير (غُلَامًا) وتنوينها فيه دلالة على أنه سيكون عظيم الشأن.

وقد أكد هذا المعنى بقوله (زَكِيًّا).

والاستفهام فى قوله (قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ)

الغرض منه الاستبعاد فهى تستبعد أن يكون لها غلام من غير مقاييس البشر ويرى الطاهر بن عاشور أن الاستفهام ليس للاستبعاد [٢]

وأرى أن مريم تستبعد ذلك الأمر رغبة منها فى عدم حصوله.

ونرى الميل إلى القول المهذب الي لا يخدش الحياء وذلك في قوله (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) [٣] فهو كناية عن المباشرة بالنكاح.

وآثر التعبيرب (**بَشَرٌ**)دون رجل مبالغة فى بيان تنزهها من مبادئ الولادة. [٤]

ثم جاء قولها (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) على سبيل التتميم فهى أرادت أن تنفى الأمر برمته سواء كان بنكاح صحيح أو غيره.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/١٦
(٢) التحرير والتنوير ٢٣/١٦
(٣) المس : يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس وكنى به عن النكاح. المفردات ٧٦٧
(٤) تفسير أبى السعود ٢٣٥/٤

فجاء جواب الملك (قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ)

تقريرا لكلامه السابق أى القول كما قلت لا محاورة ولا مراجعة فيه.

والإتيان بقوله (رَبُّكِ) فيه مدعاة لامتثالها للأمر.

ثم جاء التعليل بقوله(وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا) تنكير (آيَةً) و (رَحْمَةً) للتفخيم والتعظيم.

وفى الكلام التفات حيث التفت من الخطاب إلى التكلم فى قوله ولنجعله للدلالة على أن الله سبحانه وتعالى فى عليائه تولى الأمر ونسبه إلى نفسه

وقوله(وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) فيه دلالة على أن الأمر واقع لا محالة.

لذلك جاء التعبير بالفعل الماضى (كَانَ)فكأن الأمر قد حدث بالفعل.

وتنكير كلمة (أَمْرًا) فيه دلاله على الفخامة والعظمة.

حوار عيسى عليه السلام

لأمه فى لحظة ولادته

قال تعالى:(فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا(٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا(٢٣)فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا

أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا(٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا(٢٥)فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) مريم:٢٢-٢٦

بعد أن أيقنت مريم بقضاء ربها بالحمل بعيسى اعتزلت الناس وتمنت الموت فى هذا الوقت حتى لا يظن بها سوء فأراد الله أن يخفف عنها بتكليم مولودها لها وهذا الحوار يبعث فى النفس هدوءا وطمأنينة لكلا الطرفين الأم والمولود.

قوله (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) [١]

والفاء فى قوله فحملته تفيد الترتيب والتعقيب أى أنها قد حملت بالغلام بعد الحوارالذى دار بينها وبين الملك مباشرة.

والفاء فى قوله (فَانْتَبَذَتْ به)لتأكيد اللصوق [٢]

وأرى أن معنى الباء هنا هو السببية فهى إنما ابتعدت وتنحت عن قومها بسبب هذا الحمل.

وقوله تعالى (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ[٣]

والفاء فى قوله فأجاءها فيها خلاف :

١- فمنهم قال إن الفاء للترتيب والتعقيب فليس هناك وقت بين الحمل والولادة. [٤]

٢- وقيل إن الفاء للتعقيب العرفى بعد تمام مدة الحمل بعد ثمانية أشهر من حملها. [١]

---

(١) انتبذ فلان الى ناحية أى تنحى ناحية. لسان العرب ٥١١/٣، القاموس المحيط ٤٣٢/١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/١٦

(٣) اجاءها: ألجأها المفردات ٢١٢

(٤) إعراب القران وبيانه ٩٢/٦

وأرى أن الفاء للترتيب والتعقيب فحمل عيسى عليه السلام وولادته من الأمور الخارقه التى لاتخضع لمقايس البشر من الزمان وغيره.

وقد فصلت جملة (قَالَتْ يَا لَيْتَنِي) عما قبلها وذلك لشبه كمال الاتصال كأن سائلا سأل: فماذا قالت عندما ألجأها المخاض الى جذع النخلة؟ فكان الجواب: قالت : ياليتنى.....

وفى قوله (يَا لَيْتَنِي) دخل حرف النداء (يا) على حرف التمنى (ليت)" فلم يفد إلا مجرد التنبيه"(٢)

مثل قوله صلى الله عليه وسلم (رب كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة)

وليت للتمنى، الأمر المحال، فقد تمنت السيدة مريم عليها السلام أمرا محالا وهو ألو ماتت قبل الحمل والولادة وذلك حتى لا يساء الظن بها.

ولم تتمن السيدة مريم الموت فحسب بل الموت مع طول المدة حتى تنسى ولا يكون لها ذكر بعد ذلك وهذاماعبرت عنه بقولها **(وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا)**(٣)

"ووصف النسى بمنسى مبالغة فى نسيان ذكرها أى ليتنى كنت شيئا غير متذكر وقد نسيه أهله وتركوه فلا يلتفتون إلى مايحل به (٤)

والفاء فى قوله (فَنَادَاهَا) للتعقيب أى أن هذا النداء كان عقب قولها هذا الكلام.

وتقييد النداء بكونه (مِنْ تَحْتِهَا) "للدلالة على أنه ناداها عند وضعه قبل أن ترفعه، مبادرة للتسلية والبشارة،وتصوير لتلك الحالة التى هى تمام اتصال الصبى بأمه "(١)

---

(١) التحرير التنوير ٢٤/١٦

(٢) علم المعانى د بسيونى فيود ٣٣٥ط الثانيه مؤسسه المختاره ١٤٢٥-٢٠٠٤م

(٣) النسى : الشئ المنسى الذى لايذكر لسان العرب ٣٢١/١٥

(٤) التحرير والتنوير ٢٥/١٦

وجملة (أَلَّا تَحْزَنِي) تفسير وبيان لجملة فناداها ولذلك كان الفصل لكمال الاتصال.

والنهى فى قوله (أَلَّا تَحْزَنِي) جاء لغرض النصح والارشاد ولا يكون هذا الأمر غريبا ولا عجيبا من مولود مثل عيسى عليه السلام.

فحمله وولادته إعجاز فى إعجاز فلسان حاله يقول لها : اتركى الحزن والأسى فالأولى بك أن تفرحى بهذه المعجزة الخارقه التى كنت محلا لها.

وبشرها المولود بالكرامة الأولى وهى أن الله قد جعل تحتها جدولا أو نهرا يسير من تحتها لتشرب منه.

وجملة (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) تعليل لنهيها عن الحزن.

والتعبير بالفعل (جعل) يفيد أن هذا النهر أو الجدول قد وجد خصيصا لها.

ولفظ (ربك) يدل على أنه سبحانه وتعالى هو المتولى أمرها أولا وأخرا فكما قدر عليك الأمر أولا يتولى سبحانه رعايتك وعنايتك بعد ذلك.

والكرامة الثانية فى قوله (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ).

والأمر فى قوله (وَهُزِّي) للنصح والإرشاد.

والأمر بالهز يعلمنا الأخذ بالأسباب فهو سبحانه كان ولا يزال قادرا على أن ينزل عليها الرطب من السماء دون تعب، كما كانت تأتيها فاكهةالشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء لكن سبحانه أراد أن يلعمنا كيف يكون الأخذ بالأسباب .

كما أن فى هز الجذع إظهارا للمعجزة الإهية، إذ كيف يكون من الجذع الذى يبس إنبات.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/١٦

وتخصيص الرطب دون غيره من أنواع البلح والتمر لأن وجوده فى هذا الوقت إعجاز لأن الوقت كان وقت شتاء.

ووصف الرطب ب (جَنِيًّا) فيه كناية عن حدوث سقوطه أى عن طراوته....لأن الرطب متى كان أقرب عهدا بنخلته كان أطيب طعما[١]

ولا عجب فى ذلك فهو العطاء الإلهى.

والأمر فى قوله (فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا) جميعها للنصح.

فهذا المولود المشفق على أمه يريد لها السلامة وراحة البال لذلك أمرها بالأكل والشرب وقرارة العين، فهو يتعايش معها ويحس بألامها وبحاجتها.

وقوله(وَقَرِّي عَيْنًا) " كناية عن السرور بطريق المضاده وقرة العين تشمل هناء العيش والأنس بالمولود" [٢]

وتخصيص اسم "الرحمن" دون غيره من الأسماء فى قوله (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا) لأنها فى حاجة الى رحمته سبحانه فى مثل هذا الموقف الذى تتهم فيه فهى بحاجة إلى رحمته سبحانها لتبرئها مما سيلصق بها من التهمة.

وتأكيد الكلام (بإن) فى قوله (إِنِّي نَذَرْتُ) لأن هذا الخبر سيواجه بالإنكار فهى فى حاجةلى تأكيد ذلك الخبر حتى يصدقها قومها.

وجملة (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) بيان لكيفية الصوم الذى نذرته لأن الصوم مطلق الإمساك فأرادت أن تبين لهم أن صومها إنما هو عن الكلام.

(١) التحرير والتنوير ٢٧/١٦
(٢) التحرير والتنوير ٢٨/١٦

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً له الفضل كله وإليه يرجع الأمر كله

الحمدلله الذىٰ هدانا لهذا وما كنا لنهتدىٰ لولا أن هدانا الله

وبعد أن انتهينا من هذا البحث المتواضع نخلص منه بما يلى :

حفلت الآيات بالصور البيانية وتنوعها ما بين استعارة وكناية، فحين يكون المراد تجسيد المعني وتقويته في ذهن السامع تكون الاستعارة وذلك مثل قوله (لولا أن ربطنا على قلبها).

وحين يكون القصد عدم التصريح بالفعل تكون الكنايه مثل قوله (فلما رأى أيديهم لا تصل إليهم) وذلك إعظاماً للملائكة وقوله (ولم يمسسني بشر).

ولما كانت الآيات حوارية غلب عليها أن تأتي بدون عطف فكان الفصل لتلاحم الأجزاء، فالكلام سلسلة متصلة الحلقات ولذلك كانت هذه هي السمة البلاغية السائدة في الآيات.

تكرار النداءات وذلك حين يكون الغرض جذب الانتباه لأمر ذا أهمية وذلك في مثل قوله (يا مريم) (يأيها الملأ).

القرآن الكريم فى الدرجة العليا من البلاغة فلا تدانيه بلاغة فقد أعيت بلاغته البلغاء وأعجزت فصاحته الفصحاء ومع أن هذا القول ليس بالجديد لكنى أصررت على كتابته.

القرآن الكريم معجز الى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهو لا يخلق على كثرة الرد فهو المعين العذب الذى ينهل منه فلا يغضب أبداً فهو لايزال غضاً رطباً مهما تعددت الدراسات فيه.

القرآن الكريم محكم فى طريقة نظمه وفى أحكامه وفى تشريعاته.أنه لابد من تكرار النظر والتدبر فى آياته لنغترف منها ونستضيئ منه فى أمورنا الحياتيه

فلابد من إرساء مبدأ الحوار فى الأسرة والمجتمع فهو المخرج الوحيد لما يحياه المجتمع الإسلامى من مشاكل معقده لانجد لها حلا.

جمال الأسلوب الحوارى في القرآن مع المرأة على تنوعه فقد عالج الحوار مع المرأه عدة قضايا : عقدية، إجتماعية، أخلاقية وذلك للعظة والعبرة.

جاء الحوار مع المرأة بصفتها بنتا وزوجا وملكة إلى غير ذلك من النماذج التى أتت فى البحث وكانت غاية فى البلاغة والفصاحة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادروالمراجع

١- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – ت محمود شاكر – مطبعة المدني – الطبعة الأولى.
٢- إعراب القرآن وبيانه – محى الدين درويش – دار الإرشاد سوريا.
٣- البحر المحيط – لأبى الحيان الأندلسى– دارالكفر ط ثانية١٤٠٣هـ.
٤- بغية الإيضاح – لعبد المتعال الصعيدى – مكتبة الاداب ١٤١٧-١٩٩٧م.
٥- التحرير والتنوير – لمحمد الطاهر بن عاشور – مؤسسة التاريخ العربى بيروت طبعه اولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٦- تهذيب اللغة – للأزهرى – دار إحياء التراث العربى بيروت الطبعه الاولى ٢٠٠١م.
٧- تفسير أبى السعود – دار الكتب العربية بيروت ط أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٨- التفسير البلاغى للاستفهام للقرآن الكريم – د/ عبد العظيم المطعنى مكتبة وهبه طبعه أولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩.
٩- تفسير البيضاوى – لناصر الدين الشيرازى البيضاوى– دار الفكر بيروت.
١٠- تفسير الشعراوى – للإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى – أخبار اليوم – قطاع الثقافة.
١١- تفسير الكشاف – للزمخشرى– دار الكتاب العربى ١٤٠٧هـ
١٢- تيسر علم المعانى– د/حلمى محمد قاعود – دار النشر الدولى ط أولى ١٤٢٧-٢٠٠٦.
١٣- الجنى الدانى فى حروف المعانى – للحسن ابن قاسم المراد – دار الكتب العلمية ببيروت ط أولى – ت فخر الين قضاوة،محمد نديم فاضل.
١٤- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي – دار الكتب العلمية –بيروت – ١٤١٧
١٥- الحوار مع المرأة في ضوء قصص الأنبياء في القرآن الكريم د/هدى بنت دليجان الدليجان – الطبعة الأولى.
١٦- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية – دعبد العظيم المطعني– مكتبة وهبة – ط أولى.

١٧- دلائل الإعجاز – عبد القادر الجرجانى تحقيق محمود شاكر مطبعة المدنى – الطبعة الثالثة ١٤١٣-١٩٩٢.
١٨- روح المعانى – للالوسى دار إحياء التراث العربى الطبعة الاولى ١٤٢٠-١٩٩٩.
١٩- صفوة التفاسير – للصابونى – دار القرآن الكريم بيروت ط أولى ١٤٠٥-١٩٨٥.
٢٠- علم المعانى – د/ بسيونى فيود –مؤسسة مختار الطبعة الثانية ١٤٢٥-٢٠٠٤.
٢١- عيار الشعر – ابن طباطبا- شركة فن الطباعه ١٩٥٦.
٢٢- الفروق اللغويه – لابى هلال العسكرى- تحقيق حسام القدسى دار الكتب العلميه بيروت.
٢٣- القاموس المحيط – لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى دار الفكر.
٢٤- الكليات – لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي – موسسة الرسالة – بيروت.
٢٥- لسان العرب – لابن منظور – دار صادر الطبعه الأولى ٢٠٠٥
٢٦- المحكم والمحيط الأعظم – لأبن سيده – دار الكتب العلمية ببيروت ٢٠٠٠ تحقيق عبد الحميد هنداوى.
٢٧- معانى القرآن – للفراء – الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٨- المفردات فى غريب القرآن – للراغب الأصفهانى – دار العلم – بيروت ١٤١٢هـ تحقيق صفوان العدنان.